كلية التربية
المجلة التربوية
***

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

المنظور التربوي الإسلامي لمفهوم خواء المعنى

إعداد

د/ فهد عائض فهد القحطاني

أستاذ أصول التربية المساعد بكلية التربية جامعة أم القرى– المملكة العربية السعودية

DOI: 10.12816/EDUSOHAG. 2020.

المجلة التربوية. العدد الرابع والسبعون . يونيو ٢٠٢٠م

Print:(ISSN 1687-2649) Online:(ISSN 2536-9091)

ملخص البحث

هدف البحث إلى استقصاء النظرة التربوية الإسلامية لمفهوم خواء المعنى، وبيان أبرز جوانب ومحددات هذا المفهوم، وتقديم رؤية نقدية لتجلية أوجه القصور التي اشتملت عليها نظرية المعنى في تفسيرها لمفهوم فقدان المعنى، ومن ثم إبراز الجوانب التي تعالج هذا القصور في نظرية المعنى من خلال المصادر التربوية الإسلامية. وقد اعتمد البحث على المنهج الاستنباطي، وخلص البحث إلى عدد من النتائج، ومنها:

أن خواء المعنى يعد الجذر الذي يتولد عنه الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية، ويعكس نقصًا للناحية الدينية والروحية، كما أن الفراغ الديني من الأسباب التي تؤدي إلى خواء المعنى.

تزخر التربية الإسلامية بالمضامين التي تشكل المعنى الأعمق والأشمل للحياة، ولا يضاهيها في هذا المضمار أي فلسفة وضعية، كما أنها تمثل علاجًا روحيًا لمسببات خواء المعنى.

تمركزت نظرية المعنى حول المعنى الفردي للحياة، وأغفلت بلورة مفهوم عام للحياة، وهذا ما جعلها تغرق في النسبية التي تؤول إلى العدمية، وبالتالي لا يوجد معنى ثابت عام للحياة يمكن الركون إليه.

يستند معنى الحياة بشكل جذري على طبيعة الإيمان بالخالق، وأنه منشئ الوجود، وعلى إثر ذلك يتحدد دور الإنسان في الحياة، ورؤيته لها.

يعتبر قلق الموت من أبرز مهددات المعنى، ومن أبرز أوجه القصور في نظرية المعنى أنها لم تقدم تفسيرًا للموت ولما بعده، واتصاله بالحياة، بخلاف النظرة التربوية الإسلامية.

Abstract

The purpose of this research is to investigate the Islamic educational perspective of the concept of meaninglessness and to clarify the most important aspects and determinants of this concept and to provide a critical view to reflect the shortcomings contained in the theory of meaning in its interpretation of the concept of loss of meaning. Thus, highlight the aspects that address this deficiency in the theory of meaning through Islamic Education sources. The research was based on the deductive approach methodology and concluded the following results:

The meaninglessness is the root that generates a lot of psychological and social problems. It also reflects the religious and spiritual deficiency which is already one of the reasons leading to this concept of meaninglessness.

Islamic education is rich in the contents that constitute the deepest and most comprehensive meaning of life, and is not matched in this regard any philosophy of positivism, as it represents a spiritual remedy for the reasons for the meaninglessness.

The theory of meaning was centered around the individual meaning of life, and omitted the elaboration of a general concept of life, which made it sink into the relativism of nihilism, and therefore no general fixed meaning of life can be relied upon.

The meaning of life is fundamentally based on the nature of faith in the Creator, that it is the originator of existence, and consequently the role and vision of man in life is determined.

Death anxiety is one of the most important threats to meaning, and one of the most important shortcomings in the theory of meaning is that it did not provide an explanation for death and its aftermath, and its connection to life, unlike the Islamic educational view.

المقدمة:

انبثق مفهوم خواء المعنى من نظرية المعنى التي أسسها فرانكل، إذ يشير المفهوم إلى تفسير الحالة الواقعة من حيث الأعراض والأسباب جراء غياب المعنى، ويطلق على هذه الحالة أيضًا مصطلح الفراغ الوجودي، أو فقدان المعنى.

ويعد خواء المعنى من أكثر المشاعر حدة وخطورة خاصة لدى الشباب، لأن فقدان الهدف من الحياة والإحساس بالفراغ المرتبط بخواء المعنى يهدد الصحة النفسية، ويشكل أرضية خصبة للاعتلال النفسي، هذا بالإضافة إلى ما أكدته العديد من الدراسات ذات الصلة بخواء المعنى من مسؤوليته عن أزمة القيم، والقلق، والافتقار للرضا عن الحياة، والشعور باليأس، وضعف الإحساس بالذات (الحديبي،٢٠١٥).

ويساعد العلاج بالمعنى على حل مشكلات الفرد المتصلة بالطبيعة الروحية والفلسفية في الحياة: مثل مشكلات مرتبطة بمعنى الحياة، والموت، والمعاناة، حيث يرى فرانكل أن الدافع الأساسي لدى الإنسان هو إرادة المعنى ويحدث خواء المعنى أو الإحساس باللامعنى حين تهدد هذه الحاجة، سيما في الأوقات العصيبة والضاغطة والمسببة للحيرة (عبدالله،٢٠١٨م).

"والعلاج بالمعنى مبني على أن الإنسان إذا وجد في حياته معنى أو هدفًا، فإن معنى ذلك أن وجوده له أهميته ومغزاه، وأن حياته تستحق أن تعاش، بل أنها حياة يسعى صاحبها لاستمرارها والاستمتاع بها" (الحسيني،٢٠١١م،ص٧٧).

ومصادر التربية الإسلامية زاخرة بالمضامين التي تشكل المعنى الأعمق والأشمل للحياة، ولا يضاهيها في هذا المضمار أي فلسفة وضعية، ذلك أن مضامينها مستمدة ممن خلق الموت والحياة، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ (سورة الملك).

ثم أن نطاق المعنى في مصادر التربية الإسلامية يشمل كافة ما يعتري الإنسان من معاناة ومن أسئلة، وهذا ما لا تتوفر عليه مدرسة العلاج بالمعنى، إذ هي تقف حائرة عن تقديم معنى لبعض صور معاناة البشرية التي لا يوجد لها معنى ظاهر قد يساهم في تخفيفها، فمشاهد قتل الأطفال في الحروب مثلًا، أو بعض صور الطغيان والفساد في الأرض تُعجز

العقل عن أن يدرك معناها الظاهر، وأما في التربية الإسلامية فهناك معان كلية يعتصم بها الفرد، كالثقة بالله وحكمته وتقديره وعدله، وغيرها من المعاني الكلية.

وقمين بالتربية الإسلامية أن تكون المرجع الأساس لتشكيل المعنى الذي يعطي للحياة قيمة، وللمعاناة مغزى، وتقدم رؤية متكاملة للموت وما بعده، ولتقديم جوابًا لسؤال الشر والفواجع وسائر الابتلاءات التي تعجز الفلسفات الوضعية عن تقديم معنى شاف وكاف لها، وبالمقابل فإنها تشكل أسئلة مقلقة وحائرة إذا بقيت عائمة بلا جواب، وبحسب مدرسة العلاج بالمعنى فإن غياب المعنى الملائم لهذه الأسئلة الكبرى يشكل مصدرًا للاضطرابات النفسية، وللقلق المزمن "ومن الناحية الشعورية يكون الشعور الغالب هو الإحساس بالملل والفراغ ومشاعر الاكتئاب المتقطع. ومن الناحية الفكرية تسيطر على الفرد أفكار بأن الحياة لا معنى لها ولا ضرورة لها. أما من الناحية السايكولوجية فإن الفرد يصبح غير مكترث للقيام بأي نشاط أو أن يمضي في حياته" (الخيلاني،٢٠١٣م،ص٥٣٠).

موضوع الدراسة

تسعى هذه الدراسة لمحاولة سد الفجوة البحثية المتمثلة في استنباط المفاهيم التربوية الإسلامية التي تحاكي نظرية المعنى في علاج الفراغ الوجودي أو ما يعرف بخواء المعنى، لا سيما أن المضامين التربوية الإسلامية في هذا المجال ذات بعد أعمق من سائر النتاج البشري، ويسعى البحث إلى تبيين مفهوم خواء المعنى وما يقابله من المفاهيم العلاجية من التربية الإسلامية.

وقد نص فرانكل مؤسس نظرية المعنى على أن من يعاني من اضطراب وإحباط حياتي -كمظهر من مظاهر خواء المعنى- فإنه يتجه إلى النواحي الدينية ليجد فيها الإجابة على تساؤلاته، والتعلق بالقيم الروحية التي لها تطبيقات دينية، وهي بذلك تمثل أسمى المعاني لاعتقاداتهم في الألوهية ووجود المعبود (معوض ومحمد،٢٠١٢).

كما أكد على التأثير الإيجابي للمعتقدات الدينية لدى الأفراد الذين يعانون من خواء المعنى فقال: "حينما يكون المريض واقفًا على أرض صلبة من الاعتقاد الديني، فلا يمكن أن يكون هنالك اعتراض بشأن الاستفادة من التأثير العلاجي لمعتقداته الدينية، مما ينبع من المصادر الروحية ويعتمد عليها" (فرانكل،٢٠١٧،ص١٢٦).

وقد أورد العديد من الأمثلة لاستفادته من الجانب الديني لدى مسترشديه في علاجهم، ولذلك تسعى الدراسة الحالية لبلورة المفاهيم التربوية الإسلامية العلاجية ذات العلاقة بالجوانب الرئيسة لخواء المعنى، لتشكل إطارًا مرجعيًا يستند إلى التربية الإسلامية، ويتكامل مع الجوانب العلاجية النفسية لذوي الاختصاص.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة للإجابة عن التساؤل الرئيس وهو: ما المنظور التربوي الإسلامي لمفهوم خواء المعنى؟

ويتفرع عن هذا السؤال بعض الأسئلة الفرعية وهي:

١- ما مفهوم خواء المعنى؟

٢- ما أوجه القصور التي احتوت عليها نظرية المعنى في تناولها لمفهوم خواء المعنى؟

٣- كيف تعالج التربية الإسلامية أبرز محددات خواء المعنى؟

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة لتحقيق الهدف الرئيس المتمثل في بيان المنظور التربوي الإسلامي لمفهوم خواء المعنى.

ويتفرع عنه مجموعة من الأهداف الفرعية وهي:

١- بيان مفهوم خواء المعنى وفقًا لمدرسة العلاج بالمعنى.

٢- تقديم رؤية نقدية لبيان أوجه القصور التي احتوت عليها نظرية المعنى في تناولها لمفهوم خواء المعنى.

٣- إبراز دور القيم التربوية الإسلامية التي عالجت مفهوم خواء المعنى.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول جانبًا تزخر به مصادر التربية الإسلامية وهو: معنى الحياة، ورسم التصور الصحيح للأسئلة الوجودية الكبرى، والتي من شأنها أن تعالج خواء المعنى، كما أنه لا يوجد دراسة -في حدود علم الباحث- تناولت هذا المجال من منظور التربية الإسلامية، لا سيما وأن التربية الإسلامية تشكل مصدرًا هامًا لعلم النفس، وثمة حاجة ملحة للجانب الديني في عملية الإرشاد والتوجيه النفسي، من أجل ذلك نشأ فرع من فروع

علم النفس وعلم الاجتماع وهو: علم النفس الديني، وعلم الاجتماع الديني، لتناول أثر الدين على النفس وعلى المجتمع، وللدور البارز الذي يشكله الدين على مستوى النفس البشرية.

كما تستمد الدراسة أهميتها من حجم الدور الذي يشكله خواء المعنى في حياة الفرد على المستوى الديني، والنفسي، والاجتماعي، والتربوي، وعلاقته بالعديد من المتغيرات التي تشكل قوام حياة الإنسان، كالرضا عن الحياة، والشعور بقيمتها، وإدراك غايتها، والتي تعد من الأسس والركائز في مجال التربية الإسلامية.

وبالمقابل فإن هنالك أوجه قصور في مدرسة العلاج بالمعنى لا يوجد لها جوابًا سوى من مصدر إلهي، كما أن الدراسات التي عنيت بالمجال النفسي والديني اقتصرت على الربط العام بين علوم النفس والدين ولم تتطرق إلى دور التربية الإسلامية في تشكيل المعنى، من أجل ذلك استمد هذا البحث أهميته من كونه سيشكل محاولة لفتح باب جديد للباحثين والتربويين لسبر أغوار التربية الإسلامية وطرق معالجتها لخواء المعنى.

حدود الدراسة:

ليس للدراسة حدود زمانية أو مكانية وثمة حدود موضوعية وهي أثر التربية الإسلامية في معالجة خواء المعنى أو الفراغ الوجودي، كحالة نفسية مستمدة من نظرية المعنى، بعيدًا عن الفلسفات التي تستند إليها، أو الصلة التي تربطها بمدارس علم النفس المختلفة.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي؛ من خلال استخدام الطريقة الاستنباطية البحثية .

مصطلحات الدراسة:

خواء المعنى **Meaninglessness**: "هو الخبرة التي يمر بها الفرد لافتقاد المعنى من حياته، والهدف من وجوده الشخصي، والذي يحدث لديه فراغًا، يتجلى بشكل واضح من خلال: الملل" (عبدالله،٢٠١٨،ص٢١٣).

ويعرف بأنه: حالة من السأم واللامبالاة، والفراغ، يشعر فيها الفرد بالتشاؤم والتساؤل عن قيمة معظم أنشطة الحياة، والإحساس بعدم القيمة والأهمية في الحياة (Horton،1983).

معنى الحياة Meaning Of Life: يعرفه فرانكل (٢٠١٧) بأنه حالة يطمح الإنسان إلى الوصول إليها لتكون حياته ذات قيمة وتحمل معنى يستحق العيش من أجله، والدافع من وراء ذلك هو إشباع الحاجة المتمثلة في إرادة المعنى.

الإطار النظري والدراسات السابقة

-الدراسات السابقة

يعتبر مفهوم خواء المعنى من المفاهيم الرئيسة في علم النفس والتابعة لنظرية فرانكل حول معنى الحياة، وثمة تقاطع بين مفاهيمها ومفاهيم التربية الإسلامية؛ إلا أنه لا يوجد – في حدود علم الباحث– دراسات تناولت الربط بين مفهوم خواء المعنى والمفاهيم التأصيلية العلاجية لها من التربية الإسلامية، ولكن ثمة دراسات تناولت خواء المعنى وعلاقته بمتغيرات عدة، ودراسات أخرى تناولت علاقة الجانب الديني أو التربية الإسلامية ببعض المظاهر والأعراض التابعة لخواء المعنى كالقلق، والإحباط، وفقدان الرغبة في الحياة.

-الدراسات التي تناولت مفهوم خواء المعنى:

دراسة الجمعان (٢٠١٨) والتي هدفت إلى التعرف على مستوى خواء المعنى، وعلى الفروق ذات الدلالة الإحصائية في مستوى خواء المعنى لطلبة الجامعة وفق متغيري (التخصص والجنس)، وقد تكونت العينة من (٤٠٠) طالب وطالبة من جامعة البصرة، من التخصصين العلمي والإنساني تم اختيارهم بطريقة عشوائية طبقية، وقد أظهرت النتائج أن طلبة الجامعة يعانون من مستوى مرتفع من خواء المعنى، مع فروق بين الذكور والإناث لصالح الإناث، وكذلك فروق على مستوى التخصص العلمي والإنساني لصالح التخصص العلمي.

وتناولت دراسة الحديبي (٢٠١٥) الرضا عن الحياة كمتغير وسيط بين خواء المعنى، وبعض المشكلات النفس اجتماعية لدى طلاب الجامعة، وهدفت الدراسة إلى: معرفة الفروق بين الطلبة مرتفعي ومنخفضي الشعور بالرضا عن الحياة، وسمات الطلبة الذين يعانون من خواء المعنى، ومعرفة التأثير المباشر وغير المباشر لخواء المعنى والشعور بالرضا عن

الحياة في بعض المشكلات النفس اجتماعية، وتكونت عينة الدراسة من (٤٩٥) طالب وطالبة من طلبة الجامعة، ومن أبرز النتائج التي وصلت إليها الدراسة: أن هنالك ارتباط بين خواء المعنى والقلق العام والتكيف الاجتماعي، حيث ينشأ خواء المعنى نتيجة الصراعات بين القيم المختلفة، ويسفر عن بعض المشكلات النفس اجتماعية كالإحباط واليأس والغضب.

وهدفت دراسة أبو النور (٢٠٠٦) إلى معرفة العلاقة بين الإحباط وخواء المعنى وبعض المتغيرات الأسرية، وتكونت عينة الدراسة من (٣٧٠) فرد من طلاب وطالبات من كلية التربية بجامعة المنيا، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ومن أبرزها: وجود علاقة ارتباطية دالة وسالبة بين تحمل الإحباط وخواء المعنى، وكل من أساليب المعاملة الوالدية التالية: الحماية–الإهمال، والتسلط–التسامح، ووجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائيًا بين تحمل الإحباط وكل من الأساليب الوالدية التالية: الاستقلال–التقييد والطموح.

وهدفت دراسة محمد (٢٠٠٦) إلى تقييم فاعلية برنامج إرشادي قائم على التحليل بالمعنى في علاج خواء المعنى وفقدان الهدف من الحياة لدى عينة من طلاب جامعة الإمارات العربية المتحدة، وتكونت عينة الدراسة من (٩) طلاب، وأسفرت الدراسة عن عدد من النتائج ومن أهمها: أن الإرشاد القائم على التحليل بالمعنى ساهم في ازدياد الإحساس بالهدف من الحياة وبالتالي انخفاض مستوى خواء المعنى لدى عينة الدراسة.

وهدفت دراسة معوض (١٩٩٨) إلى قياس أثر الإرشاد بالمعنى في خفض خواء المعنى لدى عينة من العميان، وبلغت عينة الدراسة (١٠) أفراد من ذوي الإعاقة البصرية، وممن يعانون من خواء المعنى وفقًا للنتائج الإحصائية من العينة الاستطلاعية، ومن أبرز النتائج التي توصلت لها الدراسة: أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أفراد المجموعة الإرشادية في القياس القبلي والقياس البعدي الأول في حواء المعنى لصالح متوسط درجاتهم في القياس البعدي الأول، حيث أن الإرشاد بالمعنى ساهم في تعديل سلوك المسترشدين من خلال تغيير نظرتهم للحياة ولأنفسهم، وأهمية وجودهم ومعنى حياتهم .

-الدراسات التي تناولت علاقة التربية الإسلامية ببعض مظاهر وأعراض خواء المعنى

هدفت دراسة abeyta & routledge (2018) إلى قياس العلاقة بين الحاجة للمعنى والالتزام الديني، والمعتقدات الدينية، وقد طور الباحثان مقياس الحاجة للمعنى والالتزام الديني، وتكونت عينة الدراسة من (٤٤٢) فرد (٢٣٥) من الإناث، (٢٠٧) من

الذكور، وتنوعت دياناتهم بين مسلمين ونصارى ويهود وبوذيين وهندوس، وغالبيتهم كانوا من النصارى، وأظهرت النتائج: أن الحاجة للمعنى كانت مرتبطة ارتباطًا عاليًا جدًا بالتدين والحاجة للانتماء الاجتماعي، وارتباط التصورات العقلية بالدين .كما أن الناس يختلفون في طموحهم وحاجتهم لرؤية معنى لحياتهم، وهذه الاختلافات هي انعكاس لتدينهم.

هدفت دراسة الداهري (٢٠١٣) إلى معرفة المرتكزات الرئيسة لتعديل السلوك، وعلاقتها بالتربية الإسلامية، واعتمد الباحث على المنهج التحليلي الاستنباطي، وخلصت الدراسة إلى أن التربية الإسلامية تتضمن أهم المرتكزات الرئيسة لتعديل السلوك، والإرشاد النفسي ومنها: طرق الإرشاد النفسي، والأسس التي يقوم عليها الإرشاد الديني النفسي، ومؤثرات تعديل السلوك في التربية الإسلامية، وأهداف وخصائص ووسائل وإجراءات تعديل السلوك في التربية الإسلامية، وكذلك التدابير الوقائية لحماية السلوك في التربية الإسلامية.

وهدفت دراسة قويدري (٢٠٠٨) إلى تأصيل العلاج النفسي الديني كعلاج له أسسه وأدلته العلمية، وطرح أبرز إشكالاته، ومناقشة أراء الناقدين له، وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج ومن أهمها: أن للعلاج الروحي تأثير بالغ الأهمية، وذلك استنادًا لأراء مؤسسي بعض المدارس النفسية، ونجاح بعض التجارب العلاجية كمشروع العلاج الجماعي الإسلامي، ومشروع العلاج بالأذكار والأدعية والأوراد.

كما هدفت دراسة بارون (٢٠٠٨) إلى الكشف عن العلاقة بين التدين والصحة النفسية والقلق لدى عينة كبيرة من المراهقين الكويتيين، حيث بلغت عينة الدراسة (٢٠٣٣) مراهقًا ذكورًا وإناثًا، تم اختيارهم بطريقة عشوائية من المدارس الثانوية في مختلف دولة الكويت، وتم تطبيق مقياس الدافعية الداخلية للتدين، ومقياس القلق، مضافًا إليها ستة بنود تقيس مدى الاعتقاد الديني والرضا عن الحياة والسعادة، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة بين الجنسين حيث كان الأولاد أعلى في المتوسط من البنات على كل المقاييس فيما خلا مقياس القلق، فقد كان متوسط البنات أعلى من الأولاد، وأظهرت الدراسة كذلك ارتباطات إيجابية دالة بين كل المتغيرات فيما عدا مقياس القلق فقد كان سلبيًا ودالاً إحصائيًا.

وهدفت دراسة الحسين (٢٠٠٦) إلى معرفة التدين وعلاقته بالعصاب والانبساط، وبلغت عينة الدراسة (٢٧٦) طالبًا وطالبة يدرسون بكلية الشريعة واللغة العربية برأس الخيمة، واستخدم الباحث مقياس مستوى التدين، بالإضافة إلى قائمة أيزنج للشخصية،

وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها: وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين درجات التدين والانبساط، ووجود علاقة ارتباطية سلبية ذات دلالة إحصائية بين التدين والعصاب، ولا يوجد فروق بين الطلاب والطالبات على درجات التدين والانبساط، بينما توجد فروق ذات دلالة إحصائية بينهم في درجات العصابية .

وفي دراسة Steger (2005) قام الباحث باختبار فرضية أن وجود المعنى في الحياة يعتبر وسيط رابط بين الصحة النفسية الإيجابية والتدين. وقد تم اختبار هذه الفرضية في دراستين ضمنيتين باستخدام عدة طرق لقياس التدين والصحة النفسية. تناولت إحدى الدراسات ربط المعنى في الحياة بالتدين وعلاقته بمستوى القناعة والرضا عن الحياة كجزء من الصحة النفسية. وتناولت الدراسة الأخرى ربط المعنى في الحياة بالتدين والثقة بالنفس والتفاؤل كجزء إضافي للصحة النفسية. كانت العينة في الدراسة الأولى (٥٠٨) طالب في العشرينيات من أعمارهم ويدرسون مادة مقدمة في علم النفس في جامعة كبيرة بالوسط الغربي بأمريكا. وكانت معظم العينة مسيحيين من طائفة البروتستانت والبقية كاثوليكيين. وكانت العينة في الدراسة الثانية جزء من العينة الأولى ممن وافقوا على المشاركة وكان عددهم (٢٤٠) معظمهم طالبات. قام الباحث بجمع البيانات عن طريق تعبئة استبانات وتقارير يومية من قبل المشاركين عن ممارستهم للشعائر الدينية وعن الصحة النفسية المتضمنة للتفاؤل والثقة بالنفس والرضا عن الحياة. ومن النتائج التي وجدها الباحث أن وجود معنى في الحياة مرتبط بممارسة الشعائر الدينية اليومية والصحة الجيدة للفرد من جميع النواحي. أيضا أظهرت النتائج أن العلاقة بين التدين وصنع إحساس بمعنى الحياة هي علاقة ارتباطية مؤثرة بشكل إيجابي وكبير.

وهدفت دراسة حسين (١٩٩٦) إلى تقصي العلاقة بين القيم الإسلامية وكل من سمة القلق والقلق الأخلاقي، ومدى تأثر هذه العلاقة بعدد من المتغيرات الديمغرافية، وتكونت عينة الدراسة من (٦٦٢) طالبًا وطالبة من جامعة اليرموك، وكنا من نتائج الدراسة: وجود ارتباط سالب ودال إحصائيًا بين سمة القلق والقيم الإسلامية، كما كشفت وجود ارتباط موجب ودال إحصائيًا بين القلق الأخلاقي والقيم الإسلامية، كما يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الدرجات على اختبار القلق الأخلاقي الصحي تعزى إلى مستوى الالتزام بالقيم

الإسلامية، ما يعكس أهمية القيم الإسلامية في تخفيض سمة القلق من جانب، وزيادة القلق الأخلاقي الصحي من جانب آخر.

-التعليق على الدراسات السابقة:

انقسمت الدراسات السابقة –كما سلف– إلى قسمين: عني القسم الأول بخواء المعنى، وعلاقته بمتغيرات عدة، ركزت معظمها على طلاب وطالبات الجامعة، فمنها ما استهدف التعرف على درجة خواء المعنى لدى الطلاب والطالبات، وتأثير كل من متغيري الجنس والتخصص كدراسة الجمعان (٢٠١٨)، وهناك من استهدف معرفة سمات الطلبة الذين يعانون من خواء المعنى، ومعرفة التأثير المباشر وغير المباشر لخواء المعنى والشعور بالرضا عن الحياة في بعض المشكلات النفس اجتماعية كدراسة الحديبي (٢٠١٥)، وتميزت دراسة أبو النور (٢٠٠٦) بدراسة خواء المعنى ضمن النطاق الأسري، وعلاقته بالإحباط وبالأساليب الوالدية في التربية، واهتمت دراسات أخرى بقياس أثر برنامج إرشادي في خفض خواء المعنى، كدراسة محمد (٢٠٠٦) والتي عمدت إلى تقييم فاعلية برنامج إرشادي قائم على التحليل بالمعنى في علاج خواء المعنى وفقدان الهدف من الحياة لدى عينة من طلاب جامعة الإمارات العربية المتحدة، ودراسة معوض (١٩٩٨) التي هدفت إلى قياس أثر الإرشاد بالمعنى في خفض خواء المعنى لدى عينة من العميان ممن يعانون من خواء المعنى وفقًا للمقاييس الإحصائية.

وتتشابه الدراسات السابقة في القسم الأول مع الدراسة الحالية من حيث تطرقها لخواء المعنى، وبيان مفهومه، وأبعاد تأثيره، وتوصيف الأفكار التي تقف خلفه، وتختلف عن الدراسة الحالية من حيث مناهجها التي تنوعت ما بين الوصفي والتحليلي وشبه التجريبي، بخلاف الدراسة الحالية والتي اعتمدت على المنهج الاستنباطي، كما تختلف الدراسات السابقة من حيث مقترحاتها العلاجية التي تناولت هذا الباب عبر مداخل مختلفة، بينما تعتمد الدراسة الحالية على تبيان المنهج التربوي الإسلامي في ذلك.

وأما القسم الثاني من الدراسات السابقة فهي الدراسات التي تناولت علاقة الجانب الديني أو التربية الإسلامية ببعض المظاهر والأعراض التابعة لخواء المعنى، ففي دراسة abeyta & routledge (2018) والتي عكست التأثير البارز للدين في تحفيز الفرد لإيجاد معنى لحياته ، وأما دراسة الداهري (٢٠١٣) فقد تناولت العلاقة بين معنى الحياة و

خلصت الدراسة إلى أن التربية الإسلامية تتضمن أهم المرتكزات الرئيسة لتعديل السلوك، والإرشاد النفسي ومنها: طرق الإرشاد النفسي، والأسس التي يقوم عليها الإرشاد الديني النفسي، ومؤثرات تعديل السلوك في التربية الإسلامية، ما يعكس أهمية مفاهيم التربية الإسلامية للتوجيه النفسي، والتنقيب حول المفاهيم التربوية الإسلامية ذات الصلة بعلاج خواء المعنى، وقام قويدري (٢٠٠٨) في دراسته بتأصيل العلاج النفسي الديني كعلاج له أسسه وأدلته العلمية، واشتركت دراستا بارون (٢٠٠٨) حسين (١٩٩٦)في تناول متغير رئيس من أعراض خواء المعنى وهو: القلق، إذ هدف بارون (٢٠٠٨) إلى الكشف عن العلاقة بين التدين والصحة النفسية والقلق، وهدف حسين (١٩٩٨) إلى تقصي العلاقة بين القيم الإسلامية وكل من سمة القلق والقلق الأخلاقي، بينما هدفت دراسة الحسين (٢٠٠٦) إلى معرفة التدين وعلاقته بالعصاب بشكل عام.

وتتشابه الدراسات السابقة في القسم الثاني مع الدراسة الحالية من حيث تناولها لمفاهيم مرتبطة بعلم النفس وعلاقتها بالجانب الديني أو التربية الإسلامية، فمنها دراسات تناولت العلاقة بين الدين والمعنى كدراسة كل من abeyta & routledge (2018) Steger (2005)، ودراسات تأصيلية كدراسة الداهري (٢٠١٣) وقويدري (٢٠٠٨)، وباقي الدراسات تناولت العلاقة بين التربية الإسلامية وبعض المتغيرات النفسية، وتختلف الدراسة الحالية عن دراستي abeyta & routledge (2018) Steger (2005) من حيث تخصيصها للجانب الديني بالإسلام، وليس كمفهوم عام لكافة الأديان، كما تختلف عن باقي الدراسات من حيث المنهج، ومن حيث التركيز على الكشف عن الجانب العلاجي في التربية الإسلامية لخواء المعنى.

الإطار النظري

المبحث الأول: مفهوم خواء المعنى

إن مفهوم خواء المعنى لا يقل أهمية عن النظرية الأساس التي تفرع عنها وهي نظرية معنى الحياة، إذ يشكل خواء المعنى الجذر الذي يتولد عنه الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية، وتعكس نقصًا للناحية الدينية والروحية، وقد ارتبط خواء المعنى بالعديد من المتغيرات التي تواترت دراسات عدة على إثباتها، ففي دراسة عبدالعظيم (٢٠٠١) والتي خلصت إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيًا بين كل من خواء المعنى والشعور باليأس، وأزمة القيم، وقلق المستقبل، كما توصل kinnier (1994) إلى وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيًا بين خواء المعنى وتصور الانتحار والإقبال على العقاقير المدمنة، ويورد محمد (٢٠٠٦) عددًا من الدراسات العربية والأجنبية والتي خلصت إلى ارتباط خواء المعنى بكل من: الإحباط، والاكتئاب، والانتحار، والعدوانية، والقلق، والغضب، والعديد من الصراعات النفسية، تعضدها دراسة أبو النور (٢٠٠٦) في علاقة خواء المعنى بالإحباط، ودراسة الحديبي (٢٠١٥) من حيث ارتباط خواء المعنى بالقلق العام والتكيف الاجتماعي، حيث ينشأ خواء المعنى نتيجة الصراعات بين القيم المختلفة، ويسفر عن بعض المشكلات النفس اجتماعية كالإحباط واليأس والغضب .ويرى فرانكل (٢٠١٤) في توصيف مفهوم خواء المعنى بأنه لا يشكل عصابًا بحد ذاته، ولكنه يخلق أرضية خصبة لنشوء العصاب.

ويتبدى خواء المعنى أو ما يسميه البعض بالفراغ الوجودي عبر مظاهر عدة، يذكر منها يالوم وماي (٢٠١٥) حين يتبدى الخواء في حالة الملل، فالملل آية الفراغ الوجودي، والفراغ هنا هو فراغ من المعنى، وليس فراغًا من المشاغل، ويضيف يالوم وماي (٢٠١٥) صورة أخرى من صوره فيما يسمى بعصاب يوم الأحد، Sunday neurosis أي عصاب يوم العطلة الأسبوعي، -ولنا أن نسميه عصاب يوم الجمعة- وهو نوع من الاكتئاب يصيب بعض الأفراد في يوم الإجازة، نتيجة تفرغهم لذواتهم، وابتعادهم عن دائرة العمل التي تشكل لهم انشغالاً ذهنيًا عن الخواء المعنوي، والذي سرعان ما يتبدى في إجازة نهاية الأسبوع، وقد رصد المعالجون النفسيون عددًا كبيرًا من هذه الحالات حتى أطلق عليه مصطلح عصاب يوم العطلة الأسبوعي، كمظهر من تجليات خواء المعنى.

وهناك علاوة على ذلك أقنعة مختلفة، ومظاهر متعددة يبدو بها خواء المعنى، ففي بعض الأحيان يتم تعويض هذا الخواء بإرادة القوة، كتعويضها بالشكل الأكثر بدائية للقوة وهو: إرادة المال، وفي صورة أخرى يتم تعويضها بالإغراق في اللذة، ويتبدى ذلك بالإغراق في التعويض الجنسي، إذ يصبح اندفاع الطاقة الجنسية مظهرًا متفشيًا قد يمثل دلالة على خواء المعنى (فرانكل،٢٠١٧).

ومما يؤكد ذلك أن الإنسان يسعى لملء هذا النوع من الخواء من خلال اللجوء إلى بعض الوسائل التي تلبي له إشباعًا على المدى القصير مثل الحصول على اللذة كشره الطعام، أو الإغراق الجنسي، أو عبر التباهي المادي بصوره المختلفة، وقد يحاول الإنسان ملء حياته بالعمل حتى لا يدع مجالًا للخلوة بذاته، وقد يظهر هذا الفراغ بكثرة الغضب والكراهية، وقد يملأ هذا الفراغ بمظاهر من الأعصبة كالمخاوف والوساوس المرضية (غبريال،٢٠١٧).

ومن المظاهر التي تعبر عن حالة من خواء المعنى: تلك العبارات الصريحة التي يعبر بها الفرد عن حالة الفراغ لديه مثل: "أنا لا أعرف غاية حياتي" "لا يوجد ما هو جدير بالاهتمام" وغيرها، وأيضًا سيطرة الأفكار الانتحارية، وفقدان النظام والالتزام، والإحباط، وكذلك الاكتئاب يعتبر من المؤشرات البارزة على ذلك (عبدالله،٢٠١٨).

ويرى معوض ومحمد (٢٠١٢) أن هذه المظاهر تعتبر صحية كالسأم والملل والإحباط وغيرها من مظاهر خواء المعنى، ويمكن اعتبارها خبرات مرغوبة حينما تؤدي للاكتشاف العميق للقيم، وخلق الدافعية للبحث عن المعنى، وتنمية الشعور بالمسؤولية تجاه ذلك.

وأما عن الأسباب التي تقف خلف خواء المعنى، فهنالك أسباب كثيرة، تنتمي إلى جوانب مختلفة، وبعض هذه الأسباب تشكل أعراضًا في الوقت ذاته، ومن جملة هذه الأسباب ما ذكره عبدالله (٢٠١٨):

- يعد الإشباع التام للفراغ، وتحقيق جميع حاجات الإنسان سبب من أسباب خواء المعنى أو الشعور بالفراغ الوجودي، إذ أن ذلك من شأنه أن يجعل الإنسان يعيش في حالة من الضياع وفقدان الأهداف طالما أن جميع حاجاته مشبعة، وبالتالي تخلو حياته من المعنى، إذ أن وجود الأهداف في الحياة والكفاح من أجلها يجعل للحياة معنى.

- **يشكل التطور التكنولوجي مساحة من الشعور بأوقات الفراغ، يجعل الإنسان يبحث عما يشغل به وقت فراغه، ذلك أن الزيادة في الوقت والراحة تؤدي إلى الانكماش الروحي للإنسان، فالوفرة الطاغية في الوقت تفقده المعنى، وينسحب هذا التأثير على معنى الحياة.**

ويشير الحسيني (٢٠١١) إلى ما ذكره فرانكل من مجموعة من الأسباب المتعلقة بالمجتمع، ومنها:

- **مجتمع الوفرة: إذ أن الإنسان مع التقدم الحضاري لم يعد مشغولًا بأمور البقاء والقوت فقط، بل بدأ التساؤل عن أهمية وجدوى العمل، وكيف يجد معنى في عالم بلا معنى ولا هدف.**
- **زوال القيم العالمية: حاول الإنسان أن يتمرد على التقاليد وقيودها، وعلى القيم الاجتماعية، إلا أنه لم يخلق بديلًا عن هذه القيم، فالقيم والتقاليد الاجتماعية في حالة انهيار، نتيجة غياب الثوابت الاجتماعية على مستوى العالم.**
- **النزعة الاختزالية: أو ما يمسه فرانكل "تشييء الإنسان" نتيجة التناول العلمي للطبيعة بأسرها بما فيها الإنسان، وجعل الموضوعية الصرفة غاية بحد ذاتها، حتى أصبح الإنسان مادة من مواد الطبيعة، بعيدًا عن تكوينه الخاص المتفرد.**

ومن الأسباب كذلك ما أورده البريثن (٢٠١١):

- **عدم الإنجاز وعدم التخطيط للحياة واللذان ينتجان عن الكسل والإحباط، وعدم الثقة في الحياة.**
- **التفكير الجمعي، ومسايرة الآخرين، والذي ينتج عنه تهميش للذات وتجنب تحمل المسؤولية.**
- **التواكل والمغالاة في النظرة الجبرية للحياة، حيث يعتبر الإنسان نفسه مجرد أداة بيد الظروف.**
- **التعصب الذاتي والذي ينتج عنه التفريط في حقوق وحريات الآخرين.**
- **الصور المختلفة للعمل الذي لا يحقق معنى للإنسان، كالعمل الذي يستنفد وقت الفرد، أو العمل الذي لا يشعره بالإنجاز والإنتاج، ويكتفي بالإغراق في الحياة الروتينية، أو عد العمل (البطالة) التي تولد شعورًا باللامبالاة.**

ويعتبر الفراغ الديني من الأسباب التي تؤدي إلى خواء المعنى، فالإيمان بالله -عز وجل-، وباليوم الآخر، يضفي للحياة قيمة ومعنى، "والفراغ الديني هو الذي يجعل الإنسان يلهث وراء تحقيق نزواته ولذاته الفورية، لأنه لا يعتقد في وجود شيء وراء الحياة الدنيوية، وهو على هذه الحالة كلما أشبع شهواته ازدادت جوعًا، وهو لا يعرف لماذا يعيش؟ ما يجعله يعيش في حالة من التوتر وشعور داخلي بالفراغ، ذلك هو الفراغ الديني" (غبريال، ٢٠١٧، ص٤٩٣).

المبحث الثاني: أوجه القصور في مفهوم خواء المعنى وفقًا لنظرية المعنى

تبرز أهمية المعاني الكلية للتربية الإسلامية من خلال النقد التالي للأجزاء التي تناولتها نظرية المعنى في تفسير أبرز محددات خواء المعنى، إذ أن من أبجدياتها أن تقدم للمستفيد تفسيرًا للمعنى الخاص لحياة الفرد، وقلق الموت، ومعنى المعاناة، وتتمثل في أربعة ظواهر قامت عليها المقاييس الخاصة بخواء المعنى وهي: اللامعنى، واللاهدف، واليأس ،والملل، وسوف يتركز المبحث على المحددات الثلاثة المشكلة لمفهوم خواء المعنى، ولكن ثمة أوجه نقص لا تغطيها هذه الجوانب، ومن خلالها يتبين الدور الذي تشكله المعاني الكلية للتربية الإسلامية.

الجانب الأول: المعنى الخاص لحياة الفرد

تسعى هذه النظرية إلى إيجاد معنى خاص لحياة كل فرد، يتميز بخصوصيته، يستطيع من خلاله تحديد وجهته في الحياة، وتجاوز العقبات في سبيله، بمنأى عن المعنى العام للحياة، ويوضح فرانكل (٢٠١٧) ذلك بقوله: "إن معنى الحياة يختلف من شخص لآخر، وعند الشخص الواحد من يوم ليوم، ومن ساعة لأخرى. فليس المهم هو معنى الحياة بصفة عامة، ولكن الذي يهمنا هو المعنى الخاص للشخص عن الحياة في وقت معين، فلكل فرد مهنته الخاصة أو رسالته الخاصة في الحياة" (ص١٦٦).

إن إغفال المعنى العام للحياة، وترك الأمر معلقًا بفلسفة كل فرد؛ ينطوي على إشكاليتين:

- الإشكالية الأولى: هي الإغراق في النسبية التي تؤول إلى العدمية، وبالتالي لا يوجد معنى ثابت عام للحياة يمكن الركون إليه، وينطلق من خلاله المعنى الخاص لكل فرد، فضلا عن أن غياب المعنى العام للحياة، والغايات الكبرى منها يعتبر خلل عقدي من ناحية شرعية.

وتعبر العدمية عن أن الحياة ليست ذات معنى حقيقي، وليس لها قيمة أو هدفًا، وفي ضوء ذلك فإن الوجود نفسه يعد نوع من الفراغ، وعدم المعنى المطلق، كما تؤمن العدمية بأن القيم والمعتقدات الأخلاقية لا أساس لها من الصحة وليست ضرورية في الحياة، وأن الوجود والحياة لا معنى لها، وهذا بالفعل يتنافى مع ما تقوم عليه نظرية المعنى من مبادئ وأفكار وغايات (معوض ومحمد،٢٠١٢).

ورغم أن نظرية المعنى ترفض العدمية بمفهومها الأصلي كفلسفة لها روادها ومضامينها الخاصة؛ إلا أن إغفال المعنى العام للحياة سيؤول بالضرورة إلى العدمية، ولو بصورة مختلفة عما هي عليه كفلسفة، ذلك أن ربط معنى الحياة بالأفراد من شأنه أن يجعل هذا المفهوم هلاميًا لا يمكن الوصول عبره إلى معنى ثابت، وغاية واضحة للوجود بأسره، وهذا ما يتنافى مع العقيدة الإسلامية التي بينت الغاية الأصلية للحياة وما بعدها، وهذا لا يتنافى مع أن يكون لكل فرد معنى خاص لحياته في ظل المعنى العام الثابت للغاية الأساسية من الحياة.

- الإشكالية الثانية: وتمثل نتيجة تابعة للإشكالية الأولى وهي أن حياة الفرد بذلك تصبح منوطة بثبات هذا المعنى، ووضوحه، ولو تعرض المعنى للتهافت أو الاهتزاز أو لم يتحقق؛ فإن حياته المعتمدة على ذلكم المعنى سوف تتداعى وتنهار، لأنه يشكل عمادها والجذر الأساس لها.

وقد تنبه فرانكل إلى ذلك ففرق بين نوعين من القيم التي تحقق معنى الحياة، كما أوردها عبدالله (٢٠١٨):

-منظومة القيم المتوازية: والتي تحمل الأفراد على إيجاد معنى لحياتهم عبر مجموعة من القيم المتساوية في الأهمية، كمن يجد معنى لحياته من خلال العمل مع أسرته، وإخلاصه في عمله، وبذله في قضية إنسانية كالعمل الخيري، فهذا من شأنه أن يكون أكثر سعادة، ويكون معنى حياته أكثر صلابة لأنه يقوم على عدة قضايا متساوية في الاهتمام، ولا تنهار حياته بانهيار أحدها.

-منظومة القيم الهرمية: وهي تمثل الأفراد الذين يعيشون من أجل قضية واحدة، يضعونها في قمة القيم ويسعون لتبنيها، وتكون باقي القيم معتمدة عليها، ومسخرة لها، كالذي يكرس حياته من أجل الكسب المادي، ويجعل حياته متمحورة حول ذلك.

ثم دعا فرانكل إلى تبني منظومة القيم المتوازية، ليتقي بذلك انهيار الحياة في حال انهيار القيم العليا ضمن منظومة القيم الهرمية، ولكن هذا لا يشكل حلًا كاملًا للإشكالية الثانية المذكورة أعلاه، فالقيم المتوازية لا تقدم ضمانة ضد الانهيار الكلي، إذ أنه من الوارد أن تتعرض القيم المتوازية لظروف مختلفة كالحروب أو الفقر أو الموت وغيرها، وتتهاوى القيم فالحياة معًا، وإذا كانت الحياة تقوم على معنى يتصل بالبشر كالمال، أو الصداقات، أو العائلة، أو العمل، فكل ما هو مرتبط بالبشر معرض للزوال، أو التغير، أو النقص، أو الموت، وبذلك تكون حياة الفرد رهن ما من طبيعته التبدل وعدم الثبات.

-الجانب الثاني: معنى المعاناة

وهي من أبرز المحددات لخواء المعنى، إذ تشكل المعاناة بكافة صورها تهديدًا للمعنى العام لحياة الفرد من خلال التساؤل عن جدوى حياته في ظل هذه المعاناة، والاستغراق في السؤال الملح عن المعنى الخاص الذي تطويه معاناته، "وقد أكد الاختصاصيون النفسيون أن الأسئلة المرتبطة بمعنى الحياة، وجدوى الوجود، تخترق وعي الإنسان وتبدأ في الإلحاح عندما يواجه الإنسان المواقف التي تتضمن خبرات غير مرغوب فيها، أو مهددة له، بحيث تعرض رفاهيته وتكامله للخطر" (الخيلاني،٢٠١٣،ص٥٣٠).

ويوضح فرانكل (٢٠١٧) أبرز الفرضيات التي تقوم عليها نظرية المعنى في التعامل مع المعاناة وهي:

- إن ما يهم في أي معاناة هو موقف الشخص منها، وآلية تعامله معها.
- إن المعاناة تكف عن أن تكون معاناة عندما يكون لها معنى.
- إذا كان الفرد يملك معنى عام لحياته، فإن ذلك يؤهله لتحمل المعاناة.
- تحمل المعاناة بشجاعة وتجاوزها، يشكل معنى بحد ذاته، إذ تتحول المأساة الشخصية إلى إنجاز وانتصار.
- هنالك معنى واحد حقيقي لكل موقف يواجهه الفرد، ومسؤولية كل فرد هي فك رموز ماهية هذا المعنى الحقيقي.

توضح الفرضيات السابقة أبرز الملامح العامة للتعامل مع الألم والمعاناة كمهدد للمعنى في الحياة، إذ ترى هذه الفرضيات في مجملها بأن موقف الشخص في التعامل مع المعاناة هو الذي يحدد أثرها عليه، فالألم ذاته قد يصيب شخصين مختلفين فيجهز على حياة

أحدهما، بينما يتجاوزه الآخر، وهذا يتوقف على قراءة الشخص للموقف، ويحدد قدرته على تجاوزه، كما ترى هذه الفرضيات أنه لا يمكن تحمل الألم إلا إذا كان ثمة معنى من ورائه، يحمل الفرد على تحمل الألم، ليحقق المعنى المنشود، كما أن وجود معنى عام يعيش الفرد من أجله يعينه على تجاوز المعاناة كي لا تعيقه عن بلوغ مراده من حياته، وتحمل الألم بشجاعة، ومن ثم تخطيه يشكل معنى عامًا يحمل في طياته النجاح، والشعور بالانتصار، لا سيما في تلكم الآلآم التي يعجز الفرد عن إيجاد معنى خاص لها، ووفقًا لهذه الفرضيات فإن هنالك معنى واحد حقيقي خلف كل بلاء، ولا يوجد بلاء بلا مغزى، ويكمن دور الفرد في البحث عن هذا المعنى، لكي يتحمل معاناته ومن ثم يتخطاها.

ومن زاوية نقدية فإنه يرى الباحث أن هذه الفرضيات تنقسم إلى ثلاثة أقسام، يستند كل قسم منها على افتراض ضمني مسبق، وبدونه لا يصبح له قيمة، وهنا تتبدى أوجه القصور في هذه الأقسام الثلاثة.

القسم الأول:

هي الفرضيات التي تسبق المعاناة، وتتمثل في الفرضيتين التاليتين:

- إن ما يهم في أي معاناة هو موقف الشخص منها، وآلية تعامله معها.
- إذا كان الفرد يملك معنى عام لحياته، فإن ذلك يؤهله لتحمل المعاناة.

فموقف الشخص من المعاناة، وآلية تعامله معها يعتمد على تكوينه الشخصي المسبق، ومعتقداته، وقيمه، وكذلك امتلاكه لمعنى عام في حياته يؤهله لتجاوز المعاناة، فنطاق عمل هاتين الفرضيتين مبني على افتراض وجود معنى للحياة، وقدرة استعدادية تمكن الفرد من الثبات حال الابتلاء، وإذا خلا الفرد منها فلا يصبح لهما معنى أو قيمة.

القسم الثاني:

هي الفرضيات التي تتزامن مع المعاناة، وتتمثل في الفرضيتين التاليتين:

- إن المعاناة تكف عن أن تكون معاناة عندما يكون لها معنى.
- هنالك معنى واحد حقيقي لكل موقف يواجهه الفرد، ومسؤولية كل فرد هي فك رموز ماهية هذا المعنى الحقيقي.

فوجود معنى للمعاناة يكسب الفرد القدرة على تقبلها ومن ثم تجاوزها، كما أن لكل معاناة معنى حقيقي، وقد يكون خفيًا، وتكمن مسؤولية الفرد في البحث عنه، وبالتالي فإن تجاوز المعاناة –وفقًا لهاتين الفرضيتين– منوط بإيجاد المعنى، وفي حال تعذر إدراك المعنى فإن هاتين الفرضيتين لا تؤتي أكلها.

القسم الثالث:

الفرضيات التي تعقب المعاناة، وتتمثل في الفرضية التالية:

- تحمل المعاناة بشجاعة وتجاوزها، يشكل معنى بحد ذاته، إذ تتحول المأساة الشخصية إلى إنجاز وانتصار.

وكأن المعنى مرتبط بما بعد المعاناة، يتمثل بشعور الفرد بتحقيق النجاح والإنجاز حال تجاوزه لمعاناته، لا سيما إن عجز عن إدراك مغزاها، فتصبح غايته التحمل والصبر ليشعر بلذة الكفاح التي تعقبها، وتستند هذه الفرضية على قدرة الفرد على تجاوز معاناته ليتأتى له المعنى، وإن فشل في ذلك فلن يعود لهذه الفرضية من أثر.

وقد حاول فرانكل (٢٠١٧) أن يسد هذه الفجوة في نظريته من خلال ما أسماه بالمعنى الغائي **The Supra-Meaning** والذي يرى أنه بالضرورة يتجاوز ما لدى الإنسان من إمكانات عقلية محدودة ويسمو عليها، وليس المقصود أن يتحمل الإنسان ما في الحياة من لا معنى، ولكن المطلوب أن يتحمل عجزه، وعدم مقدرته على إدراك غنى المعنى، وامتلاء الحياة بالمعاني.

فالمعنى الغائي يحاول أن يجعل الإنسان مسلّمًا بعجزه عن إدراك كافة المعاني، حتى لا يبقى عاجزًا أمام الظروف التي لا يجد لها معنى، وقد يشكل ذلك فرضًا مناسبًا في سياق التعامل مع مختلف البشر على تعدد دياناتهم واعتقاداتهم، أما لدى الأفراد المسلمين فيجب توظيف العامل الديني وتعميقه لديهم كأداة تربوية وعلاجية، وهذا ما أشار إليه فرانكل (٢٠١٧) بقوله: "حينما يكون المريض واقفًا على أرض صلبة من الاعتقاد الديني، فلا يمكن أن يكون هنالك اعتراض بشأن الاستفادة من التأثير العلاجي لمعتقداته الدينية، مما ينبع من المصادر الروحية ويعتمد عليها" (ص١٢٦).

وهذا القصور تعالجه المعاني الكلية التي تزخر بها مصادر التربية الإسلامية، والتي من شأنها أن تمثل معالم عامة للفرد المسلم، تعينه على فهم المعنى العام للحياة، وعلى

الجانب الآخر تمثل له معان كلية يستطيع أن يستمد منها الأمل والفهم بعيدًا عن الإغراق في إيجاد معنى خاص لكل ظرف أو معاناة تمر به، لا سيما أنه يستحيل إيجاد معنى خاص لكل أحداث الحياة، فثمة ظروف تحير العقل، وتكون عصية على كل المبررات والمعاني الدنيوية.

-الجانب الثالث قلق الموت

من أبرز ما يهدد معنى الحياة شعور الفرد بحتمية زواله من هذ الوجود، تلك الحقيقة التي تجمع عليها البشرية، وينعكس هذا القلق على التساؤل عن قيمة ما يفعله الإنسان إذا كان مآله إلى الزوال، ذلك أن الإنسان مفطور على حب الحياة، والرغبة في الخلود، وبالتالي تظهر حقيقة الموت وكأنها تهدد رغبة فطرية لدى الإنسان بالخلود.

ومن الناحية النفسية يوضح يالوم وماي (٢٠١٥) كيف يقاوم الناس حقيقة الفناء من خلال ما يطويه "كل فرد منا من اعتقاد قوي عميق بأنه يتمتع بحصانة شخصية ومنعة وخلود. ورغم أننا ندرك على مستوى عقلي عبث هذا الاعتقاد وحماقته؛ إلا أننا على مستوى لا شعوري عميق نعتقد أن القوانين المعتادة للبيولوجيا لا تنطبق علينا" (ص١٠٨).

إن وجودنا القصير في العالم قد ينتهي في أي لحظة بسبب مختلف الأقدار التي يصعب التنبؤ بها، كالحوادث والأمراض وغيرها، ووعينا بالنهاية الحتمية لكينونتنا، والتحطم السيكولوجي الوشيك يثير شعورًا مؤلماً بالقلق. فالقلق إدراك تهديد لبعض القيم التي يعتبرها الشخص جوهرية لوجوده كشخصية، ولهذا السبب كلنا يحاول التأكيد على فهم الموت، ونختار الأمان الظاهر لنا من انسجام اجتماعي واللامبالاة آملين تفادي العدم عن طريق التعامل مع وجودنا في هذا العالم شعوريًا ولا شعوريًا بأنه شيء عديم المعنى (عبدالله،٢٠١٨).

ولجأت مختلف المدارس النفسية والفلسفية إلى وسائل مختلفة للتعامل والتعايش مع حقيقة الموت، ومنها نظرية المعنى التي قررت أن تنظر إلى الموت كحقيقة مطلقة، ولكنها تعمل كمحفز لتحمل المسؤولية في الحياة؛ ليحقق الفرد وجوده من خلال ما يقدمه ويُخلّد من بعده.

وإذا كان العلاج بالمعنى يضع في اعتباره أن قابلية الزوال للوجود ظاهرة حتمية؛ فليس معنى هذا أنه اتجاه تشاؤمي ولكنه اتجاه فعال واقعي، لذا فإن زوال وجودنا لا يحتم أن يجعل وجودنا هذا بلا معنى، لكنه يحدد التزامنا بالمسؤولية واستعدادنا لتحملها؛ ذلك أن كل

شيء يتوقف على تحقيقنا لما عندنا من إمكانات سمتها الأساسية أنها قابلة للزوال، فينبغي للإنسان أن يقرر في كل لحظة ما سيتركه من أثر لوجوده، وذكريات لحياته (فرانكل،٢٠١٧). وبالتالي فإن نظرية المعنى تتعامل مع الموت وفق فرضيتين هما:

- **أن الموت يعمل كمحفز للإنجاز ولتحمل المسؤولية في الحياة.**
- **أن الحافز لاستغلال الحياة هو ما يود الفرد أن يخلده بعد وفاته من ذكرى ونجاح.**

وهاتان الفرضيتان تحتويان على قصور لا يقدم تعليلًا للموت، أو تحويله إلى حافز يبعث المعنى في الحياة، إذ أن نظرية المعنى اكتفت بالتعامل مع الموت كحقيقة حتمية بعيدًا عن معنى الموت ذاته، وعما بعد الموت، واتصاله بالحياة، ثم أن توظيف الموت كحافز لتحمل مسؤولية الحياة يفترض ابتداء أن ثمة معنى لحياة الفرد يود تحقيقه، والعيش من أجله، فإن كان الفرد يعاني خواءً في المعنى فلا تشكل له هذه الفرضية حافزًا للحياة، على أن التربية الإسلامية –كما سيأتي في المبحث التالي– تنظر إلى الموت من زوايا عدة، من ضمنها ما يتوافق مع هذه الفرضية بأن يكون الموت حافزًا للعمل، لكنها تبين الهدف الأساس لمعنى الحياة، وملامح العمل الصالح، والذي لا يجعل الإنسان تائهًا يبحث عن معنى لحياته أو تفسيرًا لما بعد الحياة.

وتحوي الفرضية الثانية ذات الإشكالية السابقة، إذ تفترض أن لدى الفرد ما يود تخليده ذكرى من بعده، كما أن هذا الحافز يشوبه القصور الذي لا يكفي لتحفيز الإنسان للحياة، أو لطمأنته من الموت، بخلاف ما تحمله التربية الإسلامية من مخزون عقدي يبين امتداد أثر العمل الصالح إلى ما بعد الموت، مرورًا بأثره على حياة المسلم، وعلى لحظة موته، وليس لمجرد الفخر والاعتزاز وتخليد الذكرى.

المبحث الثالث: المعاني الكلية في التربية الإسلامية

كثير من مهددات المعنى والتي تمثل أسباب خواء المعنى تتعلق بجوانب غيبية، كالخوف من الموت، أو من المستقبل المجهول، أو غياب الإجابة للأسئلة المقلقة التي تفسر سر الابتلاء، والقدر وما يحتويه من آلام ومعاناة، وتمثل المعاني الكلية في التربية الإسلامية موجهات عامة، مستمدة من مصادر التربية الإسلامية، تقدم جوابًا لأسئلة الوجود التي تهدد المعنى، وشفاءً لما يختلج في الصدور من حيرة، وقلق، جراء الأحداث التي تظهر في بادئ

الأمر وكأنها ضرب من ضروب العبث والعشوائية، وتنعكس على اعتقاد الفرد بعبثية الحياة، وخوائها من المعنى .

وسيعرض الباحث الجوانب الثلاث لمحددات خواء المعنى، من زاوية تربوية إسلامية، انطلاقًا من أوجه القصور في نظرية المعنى.

الجانب الأول: معنى الحياة

تبين فيما سبق أن من أوجه القصور في نظرية المعنى؛ إغراقها في النسبية من خلال التركيز على إيجاد معنى لحياة كل فرد على حدة، وإهمال المعنى الكلي للحياة، وأما التربية الإسلامية فهي تعنى بفهم فلسفة الحياة وفق مراد الله، وتبيان دور الإنسان وما ميزه الله به؛ ليسخر ذلك في السعي لتحقيق مراد الله من وجوده، ضمن نسق متكامل يعطي للحياة معناها، ولا يغفل دور الإنسان.

فقد كرم الله الإنسان وأعلى من منزلته؛ إذ هو نفخة من روح الله –عز وجل– وإذ أسجد له الملائكة، قال الله تعالى:﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ (سورة الحجر)، **وقد أكرمه الله بالعقل، ووهبه حرية الاختيار والتمييز بين الخير والشر، قال تعالى:** ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ (سورة الإنسان) **وألهم النفس الإنسانية فجورها وتقواها، وبالتالي فإن الإنسان يملك الاستعداد للخير والشر، ويملك الأدوات التي تمكنه من الاختيار، ذلك أن فهم معنى الحياة يسبقه الإيمان بالله الخالق عز وجل، فالهداية إليه، والإيمان به، هي المؤسس الرئيس لفهم معنى الحياة.**

فالبحث في المنشأ يطرح أمام الإنسان مباشرة القضية الوجودية الأم في حياة البشر وغيرهم، وهي قضية الإيمان بالخالق، والإقرار له بوحدانية ربوبيته للكون، ووحدانية ألوهيته له، وإثبات أسمائه وصفاته، فطبيعة الوعي بهذه القضية المركزية الأم هي التي ستحدد بشكل جذري حاسم حياة الإنسان ودوره في الكون، فإن أحكمه وجاء متطابقًا مع واقع الحال؛ تعاظمت فعالية الإنسان في الكون، وأدرك الغاية من حياته (برغوث،٢٠٠٦).

إن تصور الإنسان لذاته وللكون والحياة يشكل فلسفته الخاصة، ويحدد طريقة تعاطيه مع الأفكار ومع الحياة ككل، فهي الأصل الذي تنبثق منه جميع نظراته الفكرية واتجاهاته الأخلاقية والسلوكية، وهي المحرك الخفي لأفكاره وسلوكه، وهي أساس اختلاف الثقافات والحضارات، وكل حضارة أو نظام اجتماعي أو سياسي أو حتى اقتصادي لا ينبثق إلا عن

تصور للوجود وعن الله (علي وآخرون،٢٠٠٥).

ومن ثم أوجد الله سننًا للهداية من اقتفاها حقق الأسباب المؤدية لها، ومن أبرزها: طلب الهداية من الله، و قد ورد في الحديث القدسي: "يقول الله عز وجل يا عبادي كلكم ضال **إلا من هديت، فسلوني الهدى أهدكم"(رواه الترمذي، ج٤/٢٣٨).**

وهذا الهدى يتبين بطريقتين "بيان بالآيات المسموعة المتلوة، وبيان بالآيات المشهودة المرئية، و كلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه و صفاته، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾ (سورة التوبة)" (الخطيب،٢٠٠٤، ١/٩٨).

وقد جعل الله تعالى الكون وما حوى دالًا عليه سبحانه، ليكون التأمل في ملكوت الله سنة من سنن الهداية إليه، فتأمل الكون يقود إلى خالقه، وهو سبيل لزيادة الإيمان، ذلك بأن "القرآن الكريم أَمَرَ بالنَّظر والتفكير فيما خلق الله في السماوات والأرض؛ ليزداد الناس يقينًا بأن الله هو الخالق العظيم، وليعلموا أن ما خلقه الله كان بدقة ونظام، وأن كل ما فيه يجري بأمر الله، أي وفق ما وضعه له من نظام. فمن هذه الآيات الداعية إلى النظر في الكون والتأمل بما فيه للوقوف على أسراره وكيفية جريانه، قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ١٠١﴾ (سورة يونس)" (زيدان،١٩٩٣، ص١١).

"ولكي يدل الكون على وجود الله –عز وجل– ينبغي أن يكون متناسقًا، ولكي يتم فيه التناسق، ينبغي أن يكون مرتبًا بعضه على بعض بأن يكون هذا محتاجًا وذاك محتاجًا إليه، فيتلاقيان طبقًا للحاجة التي بينهما، وكلما سبرت مزيدًا من أغوار هذه العلل والمعلولات، فتسير متأملًا في هذا السبيل، إلى أن تنتهي بك هذه العلل الكثيرة إلى العلة الواحدة الكبرى الكامنة خلف كل ما قد رأيت، أي إلى واجب الوجود، وهو الله عز وجل" (البوطي،١٩٩٧،ص ٢٩١).

وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ (سورة آل عمران) **ولذلك خُتمت الآية بأن مخلوقات الله هي آيات للعقلاء " وهم الذين ينظرون في أسبابها و يدركون حكمها و أسرارها، و يميزون بين منافعها و أضرارها، ويستدلون بما فيها من الحكم و السنن على قدرة مبدعها وحكمته وفضله، وعلى**

استحقاقه للعبادة دون غيره، وبقدر ارتقاء العلم يكمل التوحيد في الإيمان، وإنما يشرك بالله أقل الناس عقلاً وأكثرهم جهلاً" (رضا،١٩٤٧، ٢/٦٣).

وقد تعددت مشارب الفلسفات في النظرة إلى الحياة ما بين فلسفات متشائمة ترى أنها دارٌ للبؤس والشقاء، وأخرى جعلتها دارًا للنعيم ينتهي كل شيء بنهايتها، وكانت نظرة الإسلام للحياة وسطًا بين ذلك، فالله تعالى أنزل الإنسان إلى الأرض واستخلفه فيها؛ ليؤدي مهمة رسالية على ضوئها يتحدد مصيره في الحياة الأخرى، فالحياة بذلك وسيلة لغاية أسمى، وهذا لا يلغي جمالها وزخرفها، بلْه أن يكون التلذذ بذلك قربًا لله تعالى متى خلصت النية، وقد لخص النحلاوي (٢٠٠٦) النظرة القرآنية للحياة الدنيا فيما يلي:

- **متاع مؤقت، ومكان للعبور، ووسيلة للآخرة، ولا يجوز اتخاذها غاية.**
- **الدنيا مملوءة بالزينة والزخرف والشهوات والملذات، وهذا من تمام الاختبار والابتلاء.**
- **يحق للمسلم أن يستمتع بالحياة الدنيا وزينتها في حدود الشرع، والضابط هنا؛ ألا تلهيه عن طاعة الله، بل يسخرها للدار الآخرة، ولطاعة الله عز وجل.**
- **الدنيا محكومة بسنن الله في الأمم والمجتمعات، فمن ابتغى الدنيا استوفى نتيجته، ومن سخرها لله ربح الدنيا والآخرة.**
- **الحياة الدنيا قصيرة ولا تعدو أن تكون يومًا من أيام الآخرة، وهي دار تعب وكدح ونصب، وهي دار لعب وتفاخر وتكاثر.**

وقد أقام الله الحياة على الابتلاء، وجعله قانونًا يجري على خلقه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ (سورة الملك: ٢)، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ (سورة الكهف)، **إن الوعي بسنة الابتلاء يعطي المؤمن تصورًا متكاملًا لطبيعة الحياة، وللغاية من الابتلاء، ويستطيع وضع مآسيه ومآسي العالم في سياقها الصحيح، فلا يطيش له عقل، أو يهتز له إيمان، ومن تأمل تاريخ البشر يجد أنه حافل بالابتلاء على مستوى الفرد والمجتمعات.**

ورغم ذلك فلم يأمر الله المسلم باعتزال الدنيا، والانكفاء على العبادة الفردية، بل إن السعي في الحياة، والكدح في طلب الرزق، ونفع الناس، وعمل الخير، وطلب العلم ونشره، وعمارة الأرض، هي من صميم العبادة، ومما أراده الله من عباده، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (سورة هود: ٦١)، **وقد أشار الزمخشري (١٤٠٧) إلى معنى من**

معاني العمارة فقال: هو أنشأكم من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو، ولم يستعمركم فيها غيره، وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب، واستعمركم فيها وأمركم بالعمارة، والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه، وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار، وعمروا الأعمار الطوال، مع ما كان فيهم من عسف الرعايا، فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم، فأوحى إليه: إنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي.

بل إن في قدرة الإنسان على عمارتها، وقابليتها لذلك؛ دلالة على الله سبحانه وتعالى " كون الأرض قابلة للعمارات النافعة للإنسان، وكون الإنسان قادرًا عليها، دلالة عظيمة على وجود الصانع، ويرجع حاصله إلى ما ذكره الله في آية أخرى وهي قوله تعالى: (والذي قدر فهدى) وذلك لأن حدوث الإنسان –مع أنه حصل في ذاته العقل الهادي والقدرة على التصرفات الموافقة– يدل على وجود الصانع الحكيم، وكون الأرض موصوفة بصفات مطابقة للمصالح، موافقة للمنافع؛ يدل أيضًا على وجود الصانع الحكيم" (الرازي،١٩٩١).

فعمارة الأرض، وإصلاحها وبذل أسباب النهضة والتقدم بما ينفع الناس، وبما يظهر شأن المسلمين، ويدعو لدين الله، هو من صميم مراد الله من خلقه، وداخل ضمن دائرة عبادته، فقد سخر الله للإنسان كل ما في هذا الكون، من فلك وأنعام ولباس وزينة، وعلمه ما لم يكن يعلم، لا لينكفئ على نفسه، ويعتزل العالم بدعوى أن الدنيا شر وبلاء، بل لتحقيق مراد الله وفق ما جاء في شرعه، وكل ذلك من الابتلاء للخلق ليرى الله من سيحسن عملًا بعد أن ملّك الإنسان السمع والبصر والعقل، وبث آياته في كتابه المسطور والمنشور، ومن ثم تبنى حياته في الآخرة على ما قدمه في حياته الدنيا، من خير أو شر.

الجانب الثاني: معنى الموت في التربية الإسلامية

إن ما يميز مصادر التربية الإسلامية أنها قدمت تفسيرًا متماسكًا ذا تسلسل منطقي للموت، بنظرة تكاملية بينه وبين الحياة، فقررت أولًا إثبات الموت كحقيقة لا مفر منها ولو كان هذا الفرار في اللاشعور –كما تم إيراده– فقال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ (سورة الجمعة: ٨)، **وسيشمل كافة البشر، قال تعالى:** (كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦) (سورة الرحمن)، **وقال تعالى:** ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥)، **ولا يحابي الموت أحدًا ولو كان نبيًا، قال تعالى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ (سورة الزمر)، **وقال تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ (سورة الأنبياء). **ولا يمكن التحصن منه بأي**

وسيلة مادية أو علمية أو غيرها قال تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ (سورة النساء: ٧٨).

وبعد تقرير الموت كحقيقة لا مفر منها ولا تستثني أحدًا، حثت الشريعة على دوام تذكر الموت ليكسر حاجز الخلود النفسي الذي يطويه البشر في أعماقهم، وحتى لا ينجرف الفرد في غمرة الحياة وينسى تلك الحقيقة، ففي الحديث (زوروا القبورَ فإنَّها تذَكِّرُكمُ الآخرةَ) (رواه ابن ماجه، ج١/٥٠٠).

وعن ابن عمر أنه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا نبي الله، من أكيس الناس وأحزم الناس؟ فقال: أكثرهم ذكرًا للموت، وأشدهم استعدادًا للموت قبل نزول الموت، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة" (الطبراني،ج١٢/٤١٧، حديث رقم ١٣٥٣٦).

وقد لجأت بعض المدارس النفسية إلى هذه المنهجية الإسلامية في التذكير بالموت، بل معايشته قبل أوانه، ولكنها تحمل مقصدًا قاصرًا وهو الشعور ببهجة الحياة، واستغلالها، وحملهم على ذلك ما عاينه بعض الأطباء النفسيين من أنه لا يعي خبرة الموت وحقيقته إلا بعض المرضى الذين أوشكوا على مفارقة الحياة، كمرضى السرطان.

فقد سجل التراث السيكولوجي كثيرًا من ورش العمل الخاصة بوعي الموت، وبعض قادة العلاج الجمعي خاضوا بالمسترشدين تجربة مختصرة للموت، بأن يطلبوا من الأعضاء أن يكتبوا نقش ضريحهم، أو يقدمون تخيلات موجهة يتخيل فيها أعضاء الجماعة موتهم الخاص وجنازتهم. وقد قدم معمل التدريب القومي خبرة أسموها: "جماعة دورة الحياة"، وفيها يقضي المشاركون وقتًا وهم يعيشون ويتحدثون ويلبسون على طريقة المسنين. ويقومون بزيارة مقبرة محلية ويتخيلون موتهم وجنازتهم (يالوم وماي،٢٠١٥).

وبعد أن تقرر الشريعة حقيقة الموت وحتميته، ودوام تذكره الذي يقاوم نسيانه أو التغافل عنه، تبين الغاية من ذلك، والتي من خلالها تتجلى علاقة الموت بالحياة، وأنهما مكملان لبعضهما، ويهدفان إلى غاية واحدة تتجلى في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ (سورة الملك)، **فحسن العمل وفق مراد الله هو الغاية، وهذا يقدم حافزًا للحياة ولما بعدها أكبر وأعمق من مجرد توظيف حقيقة الموت لاستغلال الحياة، وتخليد الذكرى كما في نظرية المعنى، إذ أن التصور الإسلامي بهذه الصورة**

يجعل للعمل والإحسان قيمة عظيمة تتجاوز مجرد تخليد الذكرى إلى امتداد ثمار العمل الصالح إلى ما بعد الموت، وبذلك يكون الموت حلقة وصل بين حياتين يجني فيها المرء ثمار حياته الأولى في حياته الأخرى، يقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ (سورة الزلزلة).

ومن المعاني التي يضفيها الموت إلى الحياة في الفكر التربوي الإسلامي: أنه يزكي الأخلاق بقدر ما يكون إيمان الفرد راسخًا بقصر الأجل، والجزاء بعد الموت، فينعكس ذلك على أخلاقه، وقيمه، وتعامله مع الآخرين، وبهذا المعنى العميق يستحيل الموت إلى باعث للحياة الصالحة، وهذا ما لا يتأتى في نظرية المعنى، وباقي المدارس النفسية الأخرى.

ومع تلكم المعاني التي يحملها الموت؛ إلا أن الإسلام ينهى عن تمني الموت، ويدعو إلى الحياة، والمشي في مناكبها، وعمارة الأرض، وأن الإنسان مستخلف فيها، يحمل رسالته، ويسعى لتحقيقها، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله يستعتب" أي يسأل الله العتبى أي الرضا) (رواه البخاري، ج١٢١/٧- حديث رقم ٥٦٧٣)، فهنا يحث النبي صلى الله عليه وسلم على اغتنام الحياة لتكون فرصة للمحسن أن يزداد إحسانًا، وللمسيء أن يصلح حاله، ولا خير في تمني الموت لكلا الحالين.

-الجانب الثالث: معنى المعاناة والابتلاء في التربية الإسلامية

اشتملت الفرضيات المفسرة للمعاناة في نظرية المعنى على ثلاثة أقسام تم ذكرها، وبيان أوجه القصور التي تشوبها، وانطلاقا من أوجه قصور هذه الأقسام الثلاثة؛ تتبين أهمية المعاني الكلية في الفكر التربوي الإسلامي، فثمة معان كلية تسبق الابتلاء، ومعان تزامنه، ومعان تعقبه، تمثل متكأ عموميًا يتشبث به الفرد ولو لم يدرك المعنى الجزئي الخاص بمعاناته، ولا يمنع ذلك من إيجاده، ولكنه لا يغني عن المعنى التربوي الإسلامي، بل إن المعاني الجزئية للمعاناة تزداد صلابة متى ما رافقها إيمان قوي بالمعاني الكلية.

وقبل إيراد الأقسام الثلاثة لا بد من بيان فقه الابتلاء من منظور التربية الإسلامية إذ لابد أن يعي المسلم مقاصد الله عز وجل من ابتلاء البشر، حتى لا يكون عرضة للشبه التي تطيش بها العقول حال الكروب والمصائب، وتزعزع الإيمان بقدر ضعفه قبل وقوع البلاء، وقد بين الله عز وجل في كتابه الكريم عددًا من المقاصد، ومنها:

أن الابتلاء قد يكون ثمنًا لدخول الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ٢١٤﴾ (سورة البقرة).

وقد يكون الابتلاء لاختبار صبر المؤمن، كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٨٦﴾ (سورة آل عمران)، **وقوله تعالى:** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ (سورة البقرة).

ومن مقاصد الابتلاء أن يميز الله الخبيث من الطيب، ويختبر إيمان المؤمنين كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٩)، **وقوله تعالى:** ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢﴾ (سورة العنكبوت)، **وقوله تعالى:** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ٣١﴾ (سورة محمد)، **وقال الله عز وجل:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ١١﴾ (سورة الحج).

ومن مقاصد الابتلاء تكفير الخطايا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) (رواه البخاري، ج٧/١١٤- حديث رقم ٥٦٤١).

وقد يكون الابتلاء للتذكير بالرجوع إلى الله، والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ (سورة الأعراف) وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ (سورة التوبة).

وقد يكون نتيجة لذنوب البشر كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦٥﴾ (سورة آل عمران)، **وقوله تعالى:** ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤١﴾ (سورة الروم)، **وقوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۖ﴾ (سورة النساء: ٧٩)، **ويقول سبحانه وتعالى:** ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾ (سورة الشورى).

وبالتالي فإن فقه الفرد للابتلاء، وأنه سنة إلهية، وأن له مقاصد وغايات وليس ضربًا من العبث؛ يهيئه لتقبل ما يصيبه بقدر إيمانه بهذه السنة وبقدر توكله على الله، وإيمانه بقضائه وقدره، وهذا ما سيتم بيانه.

القسم الأول: المعاني التي تسبق الابتلاء

وهي تلك المعاني التي يتوجب على الفرد المسلم أن يتحصن بها، لتكون له عونًا على تجاوز الابتلاء، إذ أن القصور في معرفة حقيقتها والإيمان بها، يعرض الفرد لصنوف من المعاناة ومن بينها فقدانه لمعنى حياته، وربما فقد إيمانه.

-التوكل على الله:

ترى نظرية المعنى وفقًا لفرضياتها التي تسبق المعاناة أن امتلاك الشخص لمعنى عام في حياته يؤهله لتخطي معاناته، ولكن كل معنى ما خلا الله معرض للزوال، وهنا تكمن قيمة التوكل على الله، فكل معنى سواه بشرًا كان أو مادة، إن سلم من المرض أو الضعف أو السلب فمصيره للفناء، كنهاية حتمية، من أجل ذلك قرن الله صفة الحي بالتوكل عليه سبحانه حين قال في كتابه الكريم: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (سورة الفرقان: ٥٨) **" أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم، مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده، وعرفه أن الحي الذي لا يموت، حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون. وعن بعض السلف أنه قرأها فقال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق، ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شيء، آمنوا أم كفروا، وأنه خبير بأعمالهم كاف في جزاء أعمالهم" (الزمخشري،١٤٠٧، ٣/٢٨٨).**

وينطوي خوف الفرد من الابتلاء على الخوف من المجهول، فلا أحد يعلم زمان الابتلاء أو مكانه، وأي عزيز في حياة الفرد قد يطاله البلاء، وهذا جانب آخر يجلي قيمة التوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣﴾ (سورة هود)، **فهنا قرن الله التوكل عليه بعلمه للغيب، وأن كل الأمور بيده، وما هو سبحانه بغافل عن شيء، فكلما قوي التوكل عليه، كان للمرء حصنًا من كل خوف يهدد أمن الحياة ويسلب معناها.**

ثم أن البلاء إذا حل فلا يعلم الإنسان أوان انقضائه، ولا أبعاد تأثيره، ولا من يقدر على إزالته، وفي الآية التالية يقرن الله التوكل عليه سبحانه بقدرته النافذة، وعلمه بالقدر الذي سوف يكون وفقًا لحكمته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ٣﴾ (سورة الطلاق)، قال السعدي (٢٠٠٥) **في شرح هذه الآية: " (ومن يتوكل على الله) أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك (فهو حسبه) أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له، فلهذا قال تعالى: (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي: وقتًا ومقدارًا لا يتعداه ولا يقصر عنه" (ص٨٧٠).**

والإنسان بطبعه يخاف من المعاناة والابتلاء، فالمعاناة بمختلف صورها مقرونة بالخوف بكل أصنافه، وهنا يربط الله تعالى بين الخوف واللجوء إليه، والتوكل عليه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ (سورة آل عمران).

وكان ذلك منهج الأنبياء حال الكرب والبلاء، أن يتوكلوا على الله سبحانه وتعالى، يتضح مما رواه ابن عباس " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَهَا إبْرَاهِيمُ عليه السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، وقالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حِينَ قالوا: {إنَّ النَّاسَ قدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَانًا، وقالوا :حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ) (رواه البخاري، ج٦/٣٩- حديث رقم ٤٥٦٣).

وكذلك أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالتوكل على الله في كرب من أشد الكروب وذلك حين ينفخ في الصور، "روى ابن عباس رضي الله عنه في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ:فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: كيف أَنعَمُ وصاحبُ القرنِ قدِ التقَم القرنَ وحَنى جبهتَه حتى يؤمرَ فينفخَ ، فقال أصحابُ محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: يا رسولَ اللهِ ،فكيف نقولُ ؟ قال: قولوا حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ على اللهِ توكَّلْنا" (رواه أحمد، ج٥/١٤٥- ٣٠٠٨).

-الإيمان بالقضاء والقدر:

إن الإيمان بالقضاء والقدر يحقق لصاحبه استعدادًا للابتلاء على قدر يقينه، ويهيئوه للرضا الذي يعقب الابتلاء -كما سيأتي بيانه-، ذلك أن من لم يؤمن بأن الله هو المدبر لكل أمر، وكل ما يحدث لا يتم إلا بمشيئته؛ فليس أمامه إلا الإيمان إما بأن الكون قائم على العبثية، أو أن البقاء لمن يمتلك القوة -كما يزعم نيتشه-، وكلا السببين يشكلان مدخلًا رئيسًا لخواء الحياة من المعنى، فضلًا عن أن ضعف الإيمان بقضاء الله وقدره يوهن الفرد أمام أدنى البلاءات، ويقوده للجزع والتيه، إذ أن الفرق يتجلى بين ابتلاء يصيب مؤمنًا بقضاء الله وتقديره، وذات البلاء يصيب ضعيف الإيمان، فترى الأول يسير بنور إيمانه وقد اطمأن إلى حكمة الله وتقديره، في حين أن الآخر يعيش في ضنك وأرق وشك مما هو فيه مريب.

وقد بين الله سبحانه وتعالى حكمة من حكمه البالغة في قضاء الأمور وتدبيرها في قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ (سورة الحديد) .

ويعلق ابن القيم على هذه الآية أن الله سبحانه أخبر "أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن يبرأ الأنفس، ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وأنه يسير عليه، وحكمته البالغة التي منها أن لا يحزن عباده على ما فاتهم إذا علموا أن المصيبة فيه بقدره وكتابته، ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفائت فلم يأسوا عليه، ولم يفرحوا بالحاصل لعلمهم أن المصيبة مقدرة في كل ما على الأرض. فكيف يفرح بشيء قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه؟ ولما كانت المصيبة تتضمن فوات محبوب أو خوف فواته، أو حصول مكروه، أو خوف حصوله نبه بالأسى على الفائت على مفارقة المحبوب بعد حصوله، وعلى فوته حيث لم يحصل.ونبه بعدم الفرح به إذا وجد على توطين النفس لمفارقته قبل وقوعها، وعلى الصبر على مرارتها بعد الوقوع.وهذه هي أنواع المصائب فإذا تيقن العبد أنها مكتوبة مقدرة، وأن ما أصابه منها لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه هانت عليه، وخف حملها، وأنزلها منزلة الحر والبرد" (ابن القيم،د.ت).

وقد يعتري الفرد من الشبه ما يضعف إيمانه بالقضاء والقدر، وليس هذا مجال لتفنيدها، فقد بسطها علماء العقيدة في كتبهم شرحًا وتفنيدًا وردًا، ولكن ثمة شبهة مرتبطة بالقدر تناولتها نظرية المعنى كمسبب لخواء المعنى، وتتعلق بسؤال الشر، وسبب وجوده، ومن منظور التربية الإسلامية فإن الإيمان بحكمة الله هو ما يمهد للاطمئنان بقضائه وقدره، فمن علم أن الله الحكيم سبحانه لا يقدر أمرًا إلا لحكمة بالغة قد تستعصي على العقل البشري، فإنه يطمئن لقضائه وقدره مهما بدا أن ظاهره الشر، وقد أورد البوطي (٢٠٠٣) بعض الحكم من تعلق قضاء الله تعالى بإيجاد المصائب والشرور ومنها ما يلي:

- **أن الله علم في سابق علمه أن من البشر من يعلل تسخير الكون للإنسان بعاملين اثنين: أحدهما عامل الطبيعة، وكأن الطبيعة مجبولة ومسيرة بذاتها لخدمة البشر، ثانيهما: عامل التقدم العلمي الذي مكن الإنسان من أن يمسك بزمام الطبيعة، من أجل ذلك جعل الله للطبيعة ظواهر لا يمكن للبشر أن يسيطروا عليها، يتجلى ذلك في قوله تعالى:** ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ (سورة الملك) **وهذا فيه إيقاظ بأن الفعال هو الله، ولابد أن يأتي هذا الإيقاظ من خلال مصائب وشرور تجمح بها الطبيعة.**
- **أن الله تعالى أقام الإنسان في هذه الحياة الدنيا على وظيفة التكليف، وقد تجلى فضل الإنسان على غيره من المخلوقات بهذا التكليف؛ إن استجاب لهذا التكليف وارتفع في يقينه إلى مستوى هذا الشرف الذي ميزه الله به، ولا تدخل الأوامر الإلهية تحت معنى التكليف إلا إن كان في تنفيذها والائتمار بها كلفة ومشقة، إذ أن ذلك يعطي للتكليف معنى، فإذا خضع الإنسان لسلطان التكليف الآتي من الله فلا بد أن توجد الآلام والشرور، فالله تعالى كلف الإنسان بالعطاء وجبله على الشح، وكلفه بالجهاد في سبيله، مع حبه للحياة وكرهه للقتال، وكلفه أن يفطم نفسه عن كثير من الشهوات مع حبه لها، فهذا التخالف الذي كان لا بد منه بين التكاليف الإلهية وطبيعة الإنسان من شأنه أن يحدث في حياة الإنسان الألم والمشقة، ليميز الله الصادقين في تحمل التكليف من المنافقين.**

- **أن الله شاء ولا راد لمشيئته أن تكون هذه الحياة التي سماها الحياة الدنيا ممرًا إلى مقر أسماه الحياة الآخرة، وما هذه الحياة الدنيا بكل همومها وآلامها إلا مجرد ممر، وكانت هذه الشرور والمصائب تذكيرًا بهوية الممر، وأنه ليس بدار مستقر، إذ كيف يكون للآخرة فضل على الدنيا لو كانت الدنيا خالية من كل شر وكدر، فإذا امتدت الحياة بالإنسان إلى مرحلة الشيخوخة، داهمه الضعف والمرض، وما يبرد شيئًا فشيئًا حرارة غرائزه، فتتقلص بذلك بقايا آماله وطموحاته من الدنيا، وبالمقابل فإن آلامه تتجه نحو ما هو مقبل عليه.**

القسم الثاني: المعاني المزامنة للابتلاء

-الصبر والاحتساب

يظهر للبشر أن البلاء والمعاناة ماهي إلا خسائر محضة، ليس من ورائها أي مكسب، ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن للبلاء مكاسب لا يعلمها إلا الله إن هم صبروا واحتسبوا، وأيقنوا أن لله حكمة من كل ما يصيبهم، فيكون ذلك عزاء لهم، وعون على الصبر وتجاوز المعاناة، يتضح ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له" (رواه مسلم، ج٤/٢٢٩٥- حديث رقم ٢٩٩٩) .

ووفقًا لنظرية المعنى فإن الفرد لا يستطيع تحمل معاناة لا يجد لها معنى، فإن غاب المعنى، وتعذر إدراكه، فإنه معرض لخواء المعنى، ولكن الصبر والاحتساب يشكلان معنى كليًا يعتصم بهما الفرد المسلم ابتغاء الأجر، وامتثالًا لأمر الله، ولو لم يدرك المعنى الخاص من وراء معاناته، فيكون ذلك معنى بحد ذاته، وهذا ما يزيدنا إيمانًا بقول النبي صلى الله عليه وسلم "وليس ذلك إلا لمؤمن" .

ومما يدل على أن الصبر معنى بحد ذاته -فضلًا عن الأجر من ورائه- أن من حكم الابتلاء تمييز الصابرين من غيرهم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ٣١﴾ (سورة محمد) وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ (سورة آل عمران) ،**فحين يبتلى العبد فإن من المعاني البينة قطعًا أنه مأمور بالصبر ولو لم يدرك أي معنى سواه، إذ أن الإنسان لا يكف عن احتياجه للمعنى لا سيما في المعاناة.**

كما أن المؤمن بالصبر يستحضر معنى آخر وهو الشعور بمعية الله عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ (سورة البقرة) **وهذه الآية "فيها أعظم ترغيب لعباده سبحانه إلى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب، فمن كان الله معه لم يخش من الأهوال وإن كانت كالجبال" (الشوكاني،١٤١٤، ١٤٨/١).**

ومن المعاني التي يستحضرها العبد بالصبر: محبة الله للصابرين، يقول الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ (سورة آل عمران)، **كما أن الله عز وجل عد الصبر سمة يمتاز بها الأنبياء والصالحون في مواضع عدة، قال تعالى:** ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ٨٥﴾ (سورة الأنبياء) **وقال تعالى:** ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ (سورة البقرة)، **وقال تعالى:** ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ (سورة آل عمران)، **وقال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ (سورة الحج: ٣٥)، **وقال تعالى:** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ (سورة الأنفال) .

ومن المعاني التي تعين على الصبر، ما أعده الله من أجر للصابرين لا يعلمه إلا هو سبحانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠ ﴾ (سورة الزمر) **"والحاصل أن الآية تدل على أن ثواب الصابرين وأجرهم لا نهاية له، لأن كل شيء يدخل تحت الحساب فهو متناه، وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه، وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة تقتضي أن على كل راغب في ثواب الله، وطامع فيما عنده من الخير أن يتوفر على الصبر ويزم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده، فإن الجزع لا يرد قضاء قد نزل، ولا يجلب خيرا قد سلب، ولا يدفع مكروها قد وقع، وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه، فضم إلى مصيبته مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزع" (الشوكاني،١٤١٤هـ، ٥٢١/٤) .**

ومن المعاني الجليلة في الصبر، أنه تكفير للخطايا مهما صغر البلاء، فكيف إذا تعاظم، شاهد ذلك ما رواه أبو سعيد وأبو هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" (رواه البخاري، ج٧/١١٤- حديث رقم ٥٦٤١).

-المحبة

يرى ابن القيم (٢٠٠٣) أن تحمل البلاء يكون من صنفين من المؤمنين: أهل الصبر، الذين يكرهون أنفسهم على تحمل المكاره ابتغاء ما عند الله، وأهل المحبة، وهي منزلة أسمى، وهم الذين يستلذون بامتحان محبوبهم لهم، فيرضون بكل ما يصيبهم منه.

وهذا ما أشار إليه عبدالله (٢٠١٨) في سياق شرحه لنظرية المعنى، من كون الحب يعتبر قيمة خبروية تعين على اكتشاف معنى الحياة، وبفضل الحب يتحمل الشخص المعاناة طالما أنه نذر حياته للمحبوب.

ولا شك أن الحب بمختلف صوره معين لتجاوز المعاناة، كحب الأبناء، والأسرة، أو المال، أو المنصب، وغيرها مما يحمل الفرد على الرغبة في تجاوز الألم ابتغاء العودة إلى ما يحب، ولكن -وكما سبق بيانه ضمن أوجه القصور- بأن هذا يعد تعلق بما هو زائل ومعرض للفناء، أو التغير والتبدل، أما استحضار محبة الله عز وجل، هو تعلق بمسبب الأسباب، وبمن ينتهي إليه الأمر كله، وبمن يعلم حكمة الابتلاء، والقدرة على رفعه .

ثم أن الابتلاء قد يكون دلالة على محبة الله للعبد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :"عِظَمُ الجزاءِ معَ عِظَمِ البلاءِ وإنَّ اللَّهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاَهم فمن رضيَ فلَهُ الرِّضا ومن سخِطَ فلَهُ السُّخط" (رواه البيهقي، ج١٢/٢٣٤-حديث رقم ٩٣٢٥)، فهنا يكون البلاء هبة ربانية يختص بها الله عباده الذين أحبهم، فمن صدق في محبته لله تعالى؛ كان له الابتلاء سلوانًا وتعزية بأن ما أصابه قد يكون دلالة على حب الله له، فإن رضي وهبه الله الرضا، وإن جزع وسخط وهبه الله السخط، ويعضد ذلك ما ورد في صحيح ابن حبان من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، أنه سُئِل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً ؟ قال: (الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ يُبتلى النَّاسُ على قدرِ دينِهم فمَن ثخُن دينُه اشتدَّ بلاؤُه ومَن ضعُف دِينُه ضعُف بلاؤُه وإنَّ الرَّجلَ ليُصيبُه البلاءُ حتَّى يمشيَ في النَّاسِ ما عليه خطيئةٌ)(رواه ابن حبان، ج٧/١٨٤- حديث رقم ٢٩٢٠).

فطالما أن الأنبياء صلوات الله عليهم هم أشد الناس بلاءً، ففيه دلالة على أن الابتلاء قد يكون هبة للعبد، يحط الله بها من خطاياه، وينقيه من ذنوبه، وهذا المعنى عزيز إلا على

من اصطفاه الله ورضي عنه، وألهمه حبه والرضا بما قدره الله له، فإن حصل له ذلك، فهو المعنى الكلي الذي يعصمه من الخواء الذي يهدد معنى الحياة، بل يتجاوز ذلك إلى منح حياته المعنى، ويزيد من تبيان الغاية من وجوده.

ولكن للمحبة أسباب مسبقة تحصل بها، لتثمر في حياة العبد، ويتحقق من ثمارها المعنى الذي من خلاله تُحتمل المعاناة، وقد ذكر ابن القيم (٢٠٠٣) جملة من هذه الأسباب وهي:

- **قراءة القرآن بتدبر لتفهُّم معانيه وما أريد به.**
- **الإكثار من النوافل بعد الفرائض.**
- **دوام ذكر الله على كل حال، لينال من المحبة بقدر ذكره.**
- **إيثار محابه على محاب النفس عند غلبات الهوى.**
- **مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، فهي سبيل إلى محبته سبحانه وتعالى.**
- **مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة، فكثرة استحضارها مما يوجب المحبة.**
- **الخلوة بالله، لمناجاته وذكره وتلاوة كتابه، والوقوف بين يديه.**
- **الابتعاد عن كل ما يحول القلب عن الله عز وجل.**

القسم الثالث: المعاني التي تعقب الابتلاء

-الشكر والامتنان

إن رفع البلاء يعد نعمة تستوجب الشكر لله تعالى، ذلك أن الشكر سبب للزيادة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (سورة إبراهيم: ٧)، **كما أن اعتياد النعم مدعاة إلى نسيان فضلها، والغفلة عن شكرها، فيكون الابتلاء تذكير بعظم النعمة التي زالت عنه، ليعرف قدرها، فالمرض يعطي للصحة معنى وقيمة، والفقر يعطي للغنى معنى، وإذا رفع البلاء كان حري بالعبد أن يرعى النعمة حق رعايتها، ويكون ذلك باب لامتنانه بعودتها، وتسخيرها فيما يرضي الله.**

وربما كان البلاء تذكيرًا للعبد بالاستقامة والتوبة، فيكون مستوجب للشكر من هذا الوجه، متى ما تنبه لذلك، ودليله قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ (سورة الأنعام) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ (سورة الأعراف) **يقول السعدي (٢٠٠٥) "لعلهم يذكرون أي: يتعظون أن ما حل بهم وأصابهم معاتبة من الله لهم، لعلهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجع فيهم ولا أفاد، بل استمروا على الظلم والفساد" (ص٣٠١).**

وربما كان البلاء نعمة، فظاهره الشر وباطنه الخير، كما في أحداث قصة الخضر مع نبي الله موسى عليه السلام، وقول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ (سورة البقرة) **فعلم الإنسان قاصر، لا يرى منه إلا الظاهر، وتفرد الله وحده سبحانه، بعلم بواطن الأمور، والحكمة من وقوعها، وما على العبد إلا أن يثق بتدبير الله، ويشكره على قضائه، ثقة بحكمة الله عز وجل.**

وقد ذكر الغزالي (٢٠٠٤) بعض الأمور التي تجعل البلاء موجب للشكر ومنها:

- **أن هنالك ما هو أكبر من كل مصيبة ومرض، فيحمد الله أنه لم يصب بما هو أكبر.**
- **يحمد الله أنها لم تكن مصيبة في دينه، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم منه، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه.**
- **ما من عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة، ومصائب الدنيا قد يتسلى عنها بأسباب أخر، بخلاف مصائب الآخرة.**
- **أن هذه المصيبة مكتوبة في أم الكتاب، وكان لا بد من وقوعها وقد وقعت، واستراح منها أو من بعضها، فهذه نعمة.**
- **أن ثوابها أكبر منها إن صبر واحتسب.**

-الرضا

إن الإيمان بالقضاء يمهد للعبد تقبله لما يقدره الله عز وجل عليه؛ ولكن لا يلزم من ذلك رضاءه وتسليمه، فالرضا مرحلة سامية يهدي لها الله من يشاء من عبادة، فمن هدي للرضا هانت عليه مصائب الدنيا والأثر النفسي الذي تحدثه المعاناة بعد انقضائها، وبذلك تكون هذه

المعاني الإسلامية شاملة لكافة مراحل الابتلاء بما يهونه بل بما يقرب العبد من ربه، ويجعل من المحنة منحة.

كما أن هذه المعاني مترابطة ومنسجمة فيما بينها، فمن آمن بقضاء الله، وتوكل عليه، أعانه ذلك على الصبر والاحتساب، وبصره بشيء من حكم الله في الابتلاء بما يحمله على محبة الله تعالى وشكره له، ورضاه عنه.

ويشير بشر الحافي إلى طرف من هذا الترابط فيقول: "يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله، ولو توكل على الله لرضي بما يفعل الله" (ابن القيم،٢٠٠٣، ٢/١١٥).

وكذلك يشير ابن القيم (٢٠٠٣) إلى العلاقة بين الرضا والشكر فيقول: أن الرضى يثمر الشكر، الذي هو أعلى مقامات الإيمان، والسخط يثمر كفر النعمة، فإن رضي العبد عن ربه في جميع الحالات؛ أوجب له ذلك شكره، فيكون من الراضين الشاكرين.

والرضا ضد السخط، فمن سخط على ما قدره الله لم يزده ذلك إلا هما وأسى، فضلًا عن كونه باب للشك بحكمة الله وتدبيره، فقدر الله نافذ لا محالة، وليس أمام العبد سوى الرضا والتسليم، أو الجزع والسخط، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عِظَمُ الجزاءِ معَ عِظَمِ البلاءِ وإنَّ اللَّهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاَهم فمن رضيَ فلَهُ الرِّضا ومن سخِطَ فلَهُ السُّخط" (البيهقي، ج١٢/٢٣٤-حديث رقم ٩٣٢٥).

ويجلي ابن القيم (٢٠٠٣) بعض المعاني التي تجعل الرضا يبلغ بالعبد مرتبة تستوي عندها النعمة والبلاء، ومن هذه المعاني:

- **أنه مفوض، والمفوض راض بكل ما اختاره له من فوض إليه.**
- **أنه موقن بأنه لا تبديل لكلمات الله، ولا راد لقضائه، فهو يعلم بأن النعمة والبلاء بقضاء مسبق.**
- **أنه عبد محض، والعبد المحض لا يسخط جريان أحكام سيده المشفق عليه، بل يتلقاها بالرضا عنه.**
- **أنه جاهل بعواقب الأمور، فيؤمن بأن الخيرة فيما اختاره الله له.**
- **أنه مُسْلم، والمسلم من قد سلم نفسه لله، ولم يعترض على جريان أحكام الله عليه.**
- **أنه محسن الظن بربه، ومن حسن ظنه بالله؛ رضي بما قدره الله عليه.**

- علمه بأنه إذا رضي انقلب في حقه نعمة ومنحة، وخف عليه حمله، وإذا سخط تضاعف عليه ثقله.
- أن يعلم أن تمام عبوديته في جريان ما يكرهه عليه من الأحكام، ولو لم يجر عليه إلا ما يحب لكان ذلك أبعد ما يكون عن العبودية، وليس الشأن في الرضا عما يلائم الطبيعة، بل الشأن في القضاء المؤلم.
- أن السخط باب للهم والغم والحزن، وسوء الحال، والرضى يخلصه من ذلك كله، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.
- أن السخط يوجب تلون العبد، وعدم ثباته مع الله، فإنه لا يرضى إلا بما يلائم طبعه، والمقادير تجري بما يلائمه وما لا يلائمه، وكلما جرى عليه ما لا يلائمه أسخطه، فلا تثبت له قدم على العبودية.
- أن السخط يفتح له باب الشك في الله، وقضائه وقدره، فقل أن يسلم الساخط من شك يخالط قلبه.
- أن الشيطان إنما يظفر بالإنسان عند السخط والشهوة.

النتائج:

- يشكل خواء المعنى الجذر الذي يتولد عنه الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية، ويعكس نقصًا للناحية الدينية والروحية.
- يعد الفراغ الديني من الأسباب التي تؤدي إلى خواء المعنى.
- تزخر التربية الإسلامية بالمضامين التي تشكل المعنى الأعمق والأشمل للحياة، ولا يضاهيها في هذا المضمار أي فلسفة وضعية، كما أنها تمثل علاجًا روحيًا لمسببات خواء المعنى.
- تمركزت نظرية المعنى حول المعنى الفردي للحياة، وأغفلت بلورة مفهوم عام للحياة، وهذا ما جعلها تغرق في النسبية التي تؤول إلى العدمية، وبالتالي لا يوجد معنى ثابت عام للحياة يمكن الركون إليه.
- اتسمت التربية الإسلامية بالوسطية بين تقديم معنى كلي للحياة، والاهتمام بالإنسان وتفرده ضمن سياق المعنى العام للحياة.

- **يستند معنى الحياة بشكل جذري على طبيعة الإيمان بالخالق، وأنه منشئ الوجود، وعلى إثر ذلك يتحدد دور الإنسان في الحياة، ورؤيته لها.**
- **معظم الفرضيات التي قامت عليها نظرية المعنى للتعامل مع المعاناة؛ تستند على مقدمات قد لا تتوافر لدى الفرد، وعدم توافرها يجعل هذه الفرضيات خارج سياقها المحدود.**
- **يشمل نطاق المعنى في التربية الإسلامية كافة ما يعتري الإنسان من معاناة ومن أسئلة وجودية، وتميزت بتقديم معان بينة بخلاف الفرضيات المركبة في نظرية المعنى.**
- **يعتبر قلق الموت من أبرز مهددات المعنى، ومن أبرز أوجه القصور في نظرية المعنى أنها لم تقدم تفسيرًا للموت ولما بعده، واتصاله بالحياة، بخلاف النظرة التربوية الإسلامية.**

التوصيات والمقترحات:

- **إبراز الجوانب التي تضمنتها التربية الإسلامية حول معنى الحياة، ومعوقات المعنى ضمن المقررات الشرعية في التعليم العام، لما تواترت عليه الدراسات من انتشار خواء المعنى بين فئة الشباب بشكل خاص.**
- **يأمل الباحث من المختصين في الإرشاد النفسي أن يسترشدوا ضمن الجانب الروحي بمنهجية التربية الإسلامية في معالجة خواء المعنى.**
- **يوصي الباحث أن تتظافر الدراسات التربوية الإسلامية لبلورة نظرية متكاملة حول معنى الحياة في ضوء الفكر التربوي الإسلامي.**

المراجع

المراجع العربية:

ابن القيم، محمد بن أبي بكر شمس الدين (٢٠٠٣). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. (ت: محمد المعتصم بالله البغدادي)، (ط.٧)، بيروت: دار الكتاب العربي .

ابن القيم، محمد بن أبي بكر شمس الدين (د.ت). الضوء المنير على التفسير.(تحقيق: علي الحمد الصالحي) .عنيزة: مؤسسة النور للطباعة والتجليد.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(١٩٥٢).سنن ابن ماجة، (ت: محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

أبو النور، محمد عبدالتواب معوض؛ وعبدالوهاب، سيد عبدالعظيم محمد(٢٠٠٦). تحمل الاحباط في علاقته ببعض المتغيرات النفسية والاسرية لدى عينة من طلبة الجامعة. *مجلة كلية التربية بالفيوم: جامعة الفيوم – كلية التربية*، (٤)، ١٩٥– ٢٥٤ .

بارون، خضر عباس (٢٠٠٨). التدين وعلاقته بالصحة النفسية والقلق لدى المراهقين الكويتيين .*المجلة التربوية: جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي*، ٢٢(٨٨) ، ١٣–٤٧ .

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله(١٤٢٢). صحيح البخاري، (ت: محمد زهير بن ناصر الناصر)، لبنان: دار طوق النجاة.

برغوث، الطيب(٢٠٠٦). مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية على ضوء نظرية التدافع والتجديد، دمشق: مركز الراية للتنمية الفكرية .

البريثن، عبدالعزيز عبدالله (٢٠١١). الإرشاد الأسري. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع .

البوطي، محمد سعيد رمضان (٢٠٠٣). الإنسان مسير أم مخير. بيروت: دار الفكر المعاصر.

البوطي، محمد سعيد رمضان (١٩٩٧). كبرى اليقينيات الكونية . بيروت: دار الفكر المعاصر .

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (٢٠٠٣). شعب الإيمان، (ت: عبد العلي عبد الحميد حامد)، الرياض: مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(١٩٩٨). سنن الترمذي، (ت: بشار عواد معروف)، بيروت: دار المغرب الإسلامي.

الجمعان، سناء عبدالزهرة؛ والخيكاني، حسين رحيم حميد (٢٠١٨). خواء المعنى لدى طلبة الجامعة .*مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية: جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية*، ٤٣(٤)، ٢٤–٤٢ .

الحديبي، مصطفى عبدالمحسن عبدالتواب (٢٠١٥). الرضا عن الحياة كمتغير وسيط بين خواء المعنى وبعض الاضطرابات الأكلينيكية والمشكلات النفس اجتماعية لدى طلاب الجامعة. مصر: مجلة كلية التربية بأسيوط، ٣١(٢)، ٤٨٨-٥٨١ .

حسين، حسن محمود؛ والتل، شادية أحمد (١٩٩٦) .العلاقة بين القيم الإسلامية وكل من سمة القلق والقلق الاخلاقي لدى طلبة جامعة اليرموك ومدى تأثرها بعدد من المتغيرات. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة اليرموك: اربد.

الحسين، سليمان بن محمد (٢٠٠٦). التدين وعلاقته بالعصاب والانبساط .*دراسات الطفولة: جامعة عين شمس – كلية الدراسات العليا للطفولة*، ٩(٣١) ، ١٠٣ –١١٨ .

الحسيني، عاطف مسعد (٢٠١١). قلق المستقبل والعلاج بالمعنى. القاهرة: دار الفكر العربي.

الخطيب، شريف الشيخ صالح أحمد (٢٠٠٤). السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك . عمان: الدار العثمانية .

الخيلاني، كمال محمد سرحان (٢٠١٣). الفراغ الوجودي لدى المصابات بسرطان الثدي. *مجلة العلوم التربوية والنفسية–العراق*، (٩٩)، ٥٢٨-٥٦٧ .

الداهري، صالح حسن أحمد عبدالعزيز؛ وخوالدة، ناصر (٢٠١٣). المرتكزات الأساسية لتعديل السلوك في العلاج السلوكي النفسي والتربية الإسلامية .*الثقافة والتنمية: جمعية الثقافة من أجل التنمية*،١٣(٦٦) ، ٣٥ –٨٠ .

الرازي، أبوبكر محمد بن يحيى (١٩٩١). التفسير الكبير .القاهرة: دار الغد العربي .

رضا، محمد رشيد (١٩٤٧). تفسير المنار. بيروت: دار المعرفة .

الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد (١٤٠٧).الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي

زيدان، عبد الكريم (١٩٩٢). السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية . بيروت: موسسة الرسالة

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (٢٠٠٥). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله (١٤١٤). فتح القدير. بيروت: دار الكلم الطيب .

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد(٢٠٠١). مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت: شعيب الأرنؤوط)، بيروت: مؤسسة الرسالة .

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (١٩٩٤). المعجم الكبير، (ت: حمدي عبد المجيد السلفي)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

عبدالعظيم، سيد؛ وعبدالوهاب، محمد(٢٠٠١). خواء المعنى في علاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية لدى عينة من طلاب الجامعة، *مجلة البحث في التربية وعلم النفس: كلية التربية*، جامعة المنيا، ١٥(٢). ١٦٠-٢٠٠ .

عبدالله، محمد قاسم (٢٠١٨). نظريات الإرشاد والعلاج النفسي. عمان: دار الفكر.

علي، سعيد إسماعيل؛ والحامد، محمد معجب؛ ومحمد، عبد الراضي إبراهيم (٢٠٠٥). التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات). (ط٢)، الرياض: مكتبة الرشد.

غبريال، طلعت منصور؛ وعيد، محمد إبراهيم؛ وأحمد، سيد محمد عبيد (٢٠١٧). الخصائص السيكومترية لمقياس الفراغ الوجودي لدى شباب الجامعة .*مجلة الإرشاد النفسي: جامعة عين شمس – مركز الإرشاد النفسي، ع٥٠* ، ٤٨٧- ٥١٣.

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (٢٠٠٤). إحياء علوم الدين. (ت: عبدالمعطي أمين قلعجي). (ط.٢)، بيروت: دار صادر .

فرانكل، فيكتور (٢٠١٤). إرادة المعنى أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى. ترجمة: إيمان فوزي، القاهرة: دار زهراء الشرق.

قويدري، الأخضر (٢٠٠٨). العلاج الروحي للأمراض النفسية: الاكتئاب نموذجا .*مجلة التربية: اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم*، ٣٧(١٦٦) ، ٢٢٠-٢٣٧ .

ماي، رولو؛ ويالوم، ارفين (٢٠١٥). مدخل إلى العلاج النفسي الوجودي. ترجمة: عادل مصطفى، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

محمد، سيد عبدالعظيم (٢٠٠٦). فعالية التحليل بالمعنى في علاج خواء المعنى وفقدان الهدف في الحياة لدى عينة من طلاب جامعة الإمارات العربية المتحدة .*المؤتمر السنوي الثالث عشر – الإرشاد النفسي من أجل التربية المستدامة: جامعة عين شمس – مركز الإرشاد النفسي*، ١، ١١١ – ١٥١.

معوض، محمد عبدالتواب (١٩٩٨). أثر الإرشاد بالمعنى في خفض خواء المعنى لدى عينة من العميان .*مجلة الإرشاد النفسي: جامعة عين شمس – مركز الإرشاد النفسي*، ٦(٨) ، ٣٢٥- ٣٥٦ .

معوض، محمد عبدالتواب؛ ومحمد، سيد عبدالعظيم (٢٠١٢). العلاج بالمعنى. القاهرة: دار الفكر العربي.

النحلاوي، عبد الرحمن (٢٠٠٦). أصول التربية الإسلامية وأساليبها. (ط٢٤)، دمشق: دار الفكر.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (د.ت). صحيح مسلم،(ت: محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المراجع الاجنبية:

Horton, R.C.(1983). Logoanalysis As Group Treatment For Existential Vacuum And Weight Loss In Obese Women. PhD dissertation, University of southern California, California.

Kinnier, R(1994). Depression, Meaninglessness, and Substance Abas In Normal And Hospitalized Adolescents. *Journal of alcohol and dray education*. 35(2).

Abeyta, A. A., & Routledge, C. (2018). The need for meaning and religiosity: An individual differences approach to assessing existential needs and the relation with religious commitment, beliefs, and experiences. *Personality and Individual Differences, 123*, 6-13.

Steger, M. F., & Frazier, P. (2005). Meaning in Life: One Link in the Chain From Religiousness to Well-Being. *Journal of Counseling Psychology, 52*(4), 574–582.